السبت 14 كانون الثاني 2022
العدد 4824 السنة السابعة عشرة
Samedi 14 Janvier 2022 no 4824 17ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

تشارلز سيميك
عرّاف عاطل عن العمل

جلسة الحكومة نهاية الأسبوع المقبل
هل تُكسر الجرّة بين التيار والحزب؟ [2]

اطلب القوس مع الأخبار

إذلال المتقاعدين
لماذا يعيشون كثيراً!؟ [5]

(أرشيف ـ مروان طحطح)

البلاد

ملف
نساء فلسطين... روحها
[12-15]

الحدث

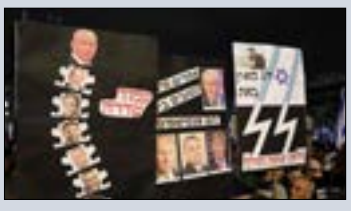

شبح «حرب الإخوة» يخيّم على «إسرائيل»
8

المشهد السياسي

جلسة الحكومة نهاية الأسبوع المقبل
هل تكسر الجرّة بين التيار والحزب؟

تهدف جلسة الحكومة التي ينوي رئيسها نجيب ميقاتي الدعوة إلى انعقادها بكسر الجرّة نهائياً بين مختلف الأطراف السياسية، بما فيها حزب الله، والتيار الوطني الحر الذي يرفض «السطو على صلاحيات رئيس الجمهورية».

يُصرّ ميقاتي على عقد الجلسة لبتّ ملف تمويل شراء الفيول للكهرباء، باعتبار مجلس الوزراء الممرّ الإلزامي لإصدار مرسوم سلفة خزينة، بعدما منح وزير الطاقة وليد فياض موافقة استثنائية قبل أن ينقلب على قراره بالاتفاق مع وزير المال يوسف الخليل ورئيس مجلس النواب نبيه بري. في المقابل، يعتبر التيار أن «الموقف بات أبعد بكثير من إعطاء سلفة خزينة لكهرباء لبنان، بل هناك قرار يجري تنفيذه بكسر المكوّن المسيحي في لبنان، يشارك فيه كل من يشارك في جلسة مجلس الوزراء»، بحسب ما أكد تكتل «لبنان القوي» جيمي جبور في مقابلة تلفزيونية أمس، ما يثير علامات استفهام حول التداعيات السياسية لعقد الجلسة وتأثيرها على العلاقة المتوترة أصلاً بين التيار وحزب الله الذي أبلغ ميقاتي أن وزراءه سيشاركون في الجلسة، من دون أن يصدر عنه أي موقف يؤكد ذلك أو ينفيه.

ووفق المعلومات، سيوجّه ميقاتي الاثنين المقبل دعوة إلى مجلس الوزراء إلى الانعقاد بين الخميس والجمعة، وسط إمعان رئيس الحكومة في استفزاز التيار من خلال دعوة مجلس إدارة كهرباء لبنان للمشاركة في الجلسة «لتقديم إجابات عن أسئلة الوزراء في ما يتعلق بالملف».

وفي هذا الإطار، علمت «الأخبار» أن ميقاتي اتصل بالمدير العام للمؤسسة كمال حايك، طالباً منه الحضور. لكن الأخير رفض لأن «لا صفة له، وأنه لا يُمكن أن يحضر في ظل غياب وزير الطاقة وليد فياض»، فما كان من ميقاتي إلا أن ردّ بأن طلب المشاركة هو «أمر»، فأجاب الحايك: «خير»!

وعكست أحداث الساعات الماضية اشتداد التعقيد في ملف إقرار سلفة الفيول لمعامل إنتاج الكهرباء، حيث لا يزال المسار القانوني لتفريغ البواخر العالقة في البحر مجمداً بسبب الخلاف السياسي الذي وصل إلى حد رفض رئيس الحكومة الرد أمس على اتصالات وزير الطاقة كما صرّح الأخير، مؤكداً أن «الحل لهذه الأزمة يُمكن أن يحصل بالف طريقة دستورية من خارج مجلس الوزراء». وقال في اتصال مع «الأخبار» إن «المشكلة تكمن في إخلال ميقاتي بالاتفاق الذي حصل بيننا». وأضاف فياض «لن أعطل الحل، لكنني أعترض على الصيغة، فالحل الذي يتحدثون عنه هو جزء من الخطة التي وضعتها الوزارة، والمطلوب تأمين مبلغ 600 مليون دولار في دورة تستغرق خمسة أشهر لرفع ساعات التغذية إلى حوالي عشر ساعات». وفي هذا الإطار، رأت مصادر وزارية أن «أجندة رئيس الحكومة ومن يقف خلفه هي تخدير الناس وإعطاء نصف حل، فهل من الطبيعي أنهم يستطيعون تأمين ما يزيد على 700 مليون دولار خلال أيام لعمليات منصة صيرفة مع شركات الصرافة وتحويل الأموال، ولا يستطيعون تأمين 600 مليون لخطة الكهرباء»؟ من جهة أخرى، أكد وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان من بيروت استعداد إيران لتزويد لبنان بالفيول وتأهيل معامل الطاقة الكهربائية، مشيراً إلى «وعي التيارات السياسية اللبنانية لإيجاد مخرج للشغور الرئاسي». وشدد عبد اللهيان على أن إيران «مستعدة لبناء معامل الطاقة الكهربائية في لبنان وتأهيلها انطلاقاً من توافق مع الحكومة». وقال إن الجمهورية الإسلامية تقف «داعمة بشكل واضح للمقاومتين اللبنانية والفلسطينية في وجه الاعتداءات الإسرائيلية»، مؤكداً أن طهران «لا تتدخل في الأمور الداخلية للبنان الشقيق، وترحب بتلاقي وتحاور كل التيارات السياسية».

تقرير

التيار الوطني والقوات: الخطة «ب» مرهونة بوقتها

ما من أحد يتوقع أن تُجرى الانتخابات الرئاسية قريباً. والقوى المسيحية في مقدم غير المتفائلين. والقوات اللبنانية والتيار الوطني الحر يخوضانها على قاعدة الخطة «أ»، فيما الخطة «ب» مرهونة بوقتها

(هيثم الموسوي)

هيام القصيفي

حين باشر التيار الوطني الحر والقوات اللبنانية استعداداتهما لمعركة رئاسة الجمهورية، لم يكن هناك من يتوقع مفاجآت في إدارة المعركة الانتخابية، لعلم الطرفين بأن الأدوات المحلية ليست جاهزة بعد لانتخاب صنع في لبنان. كانت المهل تضيق أمام الأطراف المحليين من أجل صياغة استحقاق رئاسي داخلي، قبل أن يصبح مفتاح الانتخابات في جيب عواصم إقليمية وغربية.

في ظل عدم إعلان رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع ورئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل ترشحهما الى الرئاسة، خاض التيار معركته بورقة بيضاء، قبل أن يستفحل الخلاف مع حزب الله حول المرشح الرئاسي وانعقاد جلسة لحكومة تصريف الأعمال، لتصبح الورقة البيضاء موضع مساومة من جانب التيار في اختيار بديل من تلك التي يضعها الحزب في صندوق الاقتراع. في المقابل، فرضت القوات اتجاهاً واحداً بالتوافق مع الحزب التقدمي الاشتراكي وحركة «التجدد» والكتائب وبعض الأصوات النيابية «التغييرية»، التي التحقت بخيار النائب ميشال معوض.

حتى الآن كان إيقاع الطرفين مضبوطاً، الى أن بدأت السيناريوات تتفلّت بعد الجلسة العاشرة واستمرار المراوحة على ما هي عليه، وفق رغبة الطرفين في إجراء الانتخابات وانتخاب رئيس وعدم ترك الفراغ طويلاً. لكن لكل منهما خريطة طريق مختلفة. وتالياً، أصبحت الخطة «ب» لكليهما رهن التحالفات والضغوط المتبادلة، والاستراتيجية التي يفترض اعتمادها للوصول الى انتخاب رئيس.

ليست الخطة «ب» لدى القوات حدثاً من خارج المسار التقليدي منذ اللحظة الأولى لدراسة وضعية الانتخابات. كان الأمر مطروحاً على الطاولة مع الحلفاء الذين قرروا السير بمرشح واحد، رغم أن لكل منهم مرشحين آخرين كانوا يفضلون السير بأحد منهم. إلا أن التوافق على اسم معوض جمع الكل تحت لافتة واحدة. والقاعدة كانت بالاتفاق مع معوض نفسه على السير به «مرشحاً نهائياً» الى حين انتخابه. فالخطة «أ» هي الحصول على 65 صوتاً. لكن إذا استمرت المراوحة بالبقاء على رقم يجاوز الأربعين باقل أو أكثر بقليل، فهذا يعني إعدام أي فرصة لانتخاب رئيس جديد. وهذا ما يرفضه كل أفرقاء المعارضة ومعوض منهم.

ما لفت القوات أخيراً أن هناك هجمة سياسية من خصومها لتصوير أن المعارضة الحزبية في صدد التخلي عن معوض، «وهو ليس بالأمر الصحيح»، ولا سيما أن الهجمة نفسها كانت قد بدأت منذ اللحظة الأولى لتصويره على أنه مرشح ظرفي، وأن الكل سيتخلى عنه لحظة احتدام المعركة. وقد يكون زاد من حجم الإحاطة بما سبق، حركة معوض السياسية الأخيرة، وبعض المرشحين المفترضين، ما اضطرّ القوات الى إصدار بيان يؤكد تمسكها بمرشحها. هذا التمسك يقابله فتح النقاش مع معوض وغيره من الحلفاء في «نهائية» ترشيح المعارضة له، في مقابل وضع استراتيجية الحصول على أصرين: الضغط لإجراء الانتخابات في الداخل والخارج ودرس الأفكار المطروحة لذلك، وتأمين الأصوات الكفيلة بإيصال مرشحها الى الرئاسة. عدا ذلك، لا شك في أن القوات وحلفاءها يتداولون مع مرشحهم كيفية مقاربة المرحلة المقبلة لكسر المراوحة. فأيّ نتيجة يمكن التوصل إليها في حال اختيار اسم ثان، وحصوله على عدد الأصوات نفسه الذي حصل عليه معوض حتى الآن؟ ببساطة، هذا يعني استبدال مرشح باخر من دون أي سبب منطقي، والاستمرار في الشغور الرئاسي. في حين أن أي مرشح يمكن أن يحصل على الأصوات الكافية لانتخابه، إضافة إلى المواصفات التي تضعها المعارضة، يفتح المجال أمام تشاور داخلي بين مكونات المعارضة ومرشحها من أجل خطة «ب» واقعية بالتفاهم مع كل أطياف المعارضة. وما تسمّيه المعارضة اليوم «حملة ترهيب على معوض» كان يمكن أن تشكل خطراً على إدارة المعركة لولا «أن المعارضة متنبّهة للسير بخطة واضحة بالاتفاق مع مرشحها الدائم».

في المقابل، تبدو الخطة «ب» لدى التيار الوطني على تماس مع حزب الله، وإمكان تحقيق تفاهم معه. منطقياً، هو الذي يقف حتى الآن باصوات كتلته أمام انتخاب المرشح سليمان فرنجية. ومعارضة التيار الوطني له تصبّ في مصلحة المعارضة والتيار معاً. إلى ذلك، فإنّ المروحة الواسعة التي فتحها التيار في الحديث عن لائحة عريضة من المرشحين تعني أن لا خطة رديفة طالما أن الخلاف انفجر بينه وبين الحزب حول ترشيح فرنجية، ومن ثم طرح اسم قائد الجيش العماد جوزف عون. لكنّ هناك فارقاً بين أن يضع التيار خطته وتزكية واحد من المرشحين وصولاً الى احتمال طرح اسم باسيل نفسه، وبين موافقة حزب الله عليه والسير معاً بمرشح واحد. حتى الآن، لم يكسر باسيل الجرّة مع الحزب رئاسياً. بمجرد أن أشاع جواً لتسمية مرشح أو أكثر، وعاد وحصره بمناقشات داخلية يعني أنه لم يقفل الباب امام مساعي الحوار مع الحزب ولم يشهر ورقة المعارضة في وجهه. وهو تماماً تصرّف مع لائحة مرشحين غير رسميين، كما يتصرف الحزب مع فرنجية مرشحاً غير رسمي، فاتحاً المجال للتفاوض على سلّة أسماء من دون أن يكون أحدها المرشح الأول والنهائي، الذي قد يكون هو لا سواه في نهاية المطاف.

في المحصلة، يتفق التيار والقوات على أن لا خطة «ب» في الوقت الراهن، تماماً كما أنه لا رئيس للجمهورية قريباً.

في الواجهة

الجلسة الثانية في يديّ «الترجمان» بين ميقاتي وحزب الله

امتحان ثان، بعد 5 كانون الأول، لحكومة الرئيس نجيب ميقاتي أن تجتمع في حضور وزيري حزب الله بينما يقاطعها الوزراء الثمانية للتيار الوطني الحر وحلفائه. نزاع بوجهين: أحدهما يقف على حافة وزير واحد. وثانٍ بين حليفين يديران الظهر بعضهما البعض

نقولا ناصيف

بزي يضع المسطرة على الزيد: السقف الأعلى والسقف الأدنى (هيثم الموسوي)

لا تواصل بعد بين حزب الله والتيار الوطني الحر، ولا موعد لاجتماع بين الطرفين المحسوب والمعلن ان الخلاف نشأ عنهما، كما بسبب سوء فهم احدهما الآخر، هما النائب جبران باسيل ومسؤول وحدة التنسيق والارتباط وفيق صفا. ليس ثمة ما يشير بعد الى احتمال لقائهما رغم وساطة صديقين اثنين مشتركين لهما، كل على حدة، دونما الوصول الى نتائج ايجابية. على ان الحليفين المكونين بالحرد، سيختبران مجدداً خلافهما الاسبوع المقبل مع موعد الاجتماع الثاني لمجلس الوزراء.

بعض المعلومات الممهدة للجلسة الثانية تكمن في الآتي:

1 - انعقادها في كل حال قبل منتصف الاسبوع المقبل رغم ترجيحه الاثنين. بنداها الاولان لا خلاف عليهما بين حزب الله ورئيس الحكومة نجيب ميقاتي، المتعلقان بتمويل الكهرباء. يشارك وزيرا الحزب في الموافقة على البندين، من ثم يغادران الجلسة اذا اصر ميقاتي على الاستمرار فيها بنود اخرى يعدّها ضرورية وملحة ولا يوافقه حزب الله.

2 - المنتظر الى اشعار آخر حضور اكثر من ثلثي الوزراء. في جلسة 5 كانون الاول انفّذ التئامها حضور وزير الصناعة جورج بوشكيان. مذاك ظل الاعتقاد الشائع ان نصاب الانعقاد اضحى رهن حزب الله ووزيريه. غيابهما يحول دون اجتماعها. من ذلك شرطه المسبق لاي جلسة الاطلاع سلفاً على جدول اعمال ليس فيه سوى الملحّ والضروري كي يوافق على المشاركة. المتوقع للجلسة الثانية حضور وزيرين اضافيين برفعان نصاب الالتئام الى 18 وزيراً، هما وزيرا الاقتصاد امين سلام والسياحة وليد نصار. ما تردد في الساعات الاخيرة ان ميقاتي تحوّط لاحتمال مغادرة وزيريْ حزب الله الجلسة بعد اقرار بندي الكهرباء والتسبب بتطيير نصاب الاستمرار.

كلا الوزيرين المرشحيْن ان يحضرا - اذا فعلا - يثيران علامات استفهام حيال تماسك الوزراء المتضامنين مع باسيل على انهم في صلب تكتل الوزراء المقاطعين الطاعنين في شرعية اجتماع حكومة تصريف الاعمال، مع ان سلام كان اول المرشحين للخروج من الحكومة في مسودة ميقاتي التي رفعها الى الرئيس ميشال عون في حزيران الفائت، مقترحاً استبداله كي يستعيد هو المقعد السنّي في مقابل تخليه عن مقعد مسيحي لعون. اخفق المسعى وظل سلام وقتذاك محسوباً في حصة باسيل. علامة الاستفهام المضافة، في حال صحّ رهان ميقاتي في انتزاع وزيرين ثان وثالث آخرَيْن من حصة باسيل، بعد وزير الصناعة، مرتبطة للتو بمقايضة مبرمة. اما علاقة نصار بميقاتي فمعلومة وذات صلة بمصالح مشتركة سابقة.

3 - يعزز رهان ميقاتي في امرار الجلسة المقبلة بنصاب معزّز اطلاق يده في اجتماعات لاحقة لحكومته، ضامناً تأييد رئيس مجلس النواب نبيه برّي لخطواته هذه. الواضح ان برّي يضطلع بدور «ترجمان» علاقة ميقاتي بحزب الله بما يحافظ على الية عملها في ظل شغور رئاسة الجمهورية، ويقيّد في الوقت نفسها اندفاعها الى التصرف كأنها حكومة كاملة الصلاحيات قادرة على تجاوز تصريف الاعمال. يضع برّي المسطرة على الزيح كي ترسم السقف الاعلى والسقف الادنى، ويبقى على ميقاتي تثبيت المسطرة. يضمر ذلك اتفاق حزب الله مع رئيسي المجلس والحكومة على ضرورة اضطلاع مجلس الوزراء بأدواره، الا انه يتعاطف ظاهراً مع التيار الوطني الحر بالانقطاع عن المشاركة في جلسات ليس في جدول اعمالها بنود ملحّة وضرورية لا يستغنى عنها.

4 - قدّم ميقاتي تنازلاً جزئياً بتوزيعه الخميس المنصرم جدول اعمال جلسة مفترضة لا موعد رسمياً لها بعد، بغية اطلاع الوزراء عليه على نحو يراد من خطوته هذه اظهار تعامله معهم على انهم، كمجلس للوزراء انتقلت اليه وكالة صلاحيات رئيس الجمهورية بعد شغور المنصب، معنيون بصلاحية الاطلاع المسبق على جدول الاعمال قبل توزيعه رسمياً، شأن ما كان يجري بين رئيسي الجمهورية والحكومة، فيما تبعاً لمرسوم تنظيم اعمال مجلس الوزراء يقتضي توزيعه على الوزراء قبل 48 ساعة من موعد انعقادها. ما قبل به ميقاتي، بإجرائه هذا، لا يزال يرفضه على نحو قاطع في توقيع المراسيم، بالاصرار على أن لا يوقعها بعد اقرارها في مجلس الوزراء سوى رئيس مجلس الوزراء نيابة عن رئيس الجمهورية وعنه والوزير او الوزراء المختصين.

5 - في المقلب الآخر من برّي وميقاتي وحزب الله تقيم شروط رئيس التيار الوطني الحر: لا يوافق على انعقاد جلسة لحكومة مستقيلة لا تملك سوى تصريف الاعمال في ظل رئيس للجمهورية وفي غيابه. يتمسك كذلك بتوقيع الوزراء الـ24 الذين يؤلفون الحكومة على كل مرسوم يفترض ان يقره مجلس الوزراء. الا ان المراسيم التي يقبل بها جوالة لا تمر في اي حال بالمجلس. كان ثمة مسعى غير مباشر من الحزب مع باسيل رمى الى التوسط بينه وميقاتي على نحو مقايضة أقرب الى تنازلات متبادلة: يُعطى من ميقاتي توقيع 24 وزيراً للمراسيم الصادرة عن مجلس الوزراء، في مقابل التحاق وزرائه بالحكومة وحضور جلسات المجلس التي تنعقد عند الضرورة. الا انه رفض، فاضحى خارج معادلة التفاهم مع ثلاثي برّي - ميقاتي - حزب الله.

> ميقاتي متحوط للجلسة الثانية لمجلس الوزراء بانتزاع وزيرين آخرين من باسيل؟

علم وخبر

شيا غير راغبة بالفراق!

تتقصّد السفيرة الأميركية المنتهية ولايتها في بيروت دوروثي شيا الإشارة أمام زوارها إلى أن قرار تعيينها في منصب نائب المندوب الأميركي في الأمم المتحدة يحتاج الى بعض الوقت، وأن بعض الوقت أيضاً ستستغرقه إجراءات تولّي خلف لها لارتباط ذلك بانتخاب رئيس للجمهورية لتقديم أوراق الاعتماد له. لذلك، تشير شيا أمام أصدقاء السفارة والعاملين معها إلى أنها مستمرة في عملها في لبنان لوقت غير قصير، وبعدم تجميد أي ملفات او متابعات في انتظار البديل الذي يتردد أنه سيكون سفيرة أيضاً، وأن جهات رسمية لبنانية تبلّغت اسمها في انتظار مصادقة الكونغرس الأميركي.

بهاء يستضيف المفتين في قبرص

وجّه بهاء رفيق الحريري دعوة الى مفتي المناطق الذين انتخبوا الشهر الماضي لحضور احتفال تكريمي سيقيمه لهم في قبرص. ولهذه الغاية حجزت نحو 30 غرفة في فندق «راديسون» في عاصمة الجزيرة لاستضافة المفتين وعدد من العاملين معه.

وقد استأنف النجل الأكبر للحريري اتصالاته ولقاءاته مع شخصيات عملت معه عشية الانتخابات النيابية الأخيرة لإقامة احتفال في بيروت في 14 شباط المقبل إحياءً لذكرى اغتيال والده، وسط منافسة بينه وبين النائبة السابقة بهية الحريري وتيار المستقبل، علماً أن أوساط التيار الأزرق تشير إلى أن الرئيس سعد الحريري سيزور بيروت للمناسبة، لكنه طلب عدم ترتيب أي اجتماعات أو لقاءات سياسية له.

استعراضات مخزومي

كان لافتاً على هامش زيارة البطريرك الماروني بشارة الراعي للعاصمة البريطانية «الاستعراض» الذ قام به نائب بيروت فؤاد مخزومي. إذ حرص على التصرّف، في كل المناسبات التي حضرها، كـ«عرّاب» لرحلة الراعي، كما كان حريصاً على القول أمام كل من التقاهم إن البطريرك قدم إلى لندن على متن طائرته الخاصة!

تقرير

دغدغة بكركي بأسماء بلا حظوظ إمعان في إطالة أمد الفراغ
بكركي: الراعي ليس متراساً ولا يعمل لدى أيّ مرشّح

وفيق قانصوه

بين بكركي، الموقع الماروني الديني الأول، ورئاسة الجمهورية، الموقع الماروني السياسي الأول، علاقة إشكالية تاريخياً، لم تخلُ، في كل العهود تقريباً، من خصومة بين صاحبَي الموقعين. لكن، عشية كل استحقاق رئاسي، لا بد لكلّ مرشح من الصرح... وإن طال السفر. ورغم أن لكل «بطرك» اسماً يميل إليه، إلا أنه في ما عدا استثناءات قليلة، نادراً ما خاض البطاركة الموارنة معارك أسماء في العلن، وإن خاضوا في المقابل معارك ضارية ضد أسماء لا يستسيغونها. وليست بكركي بشارة الراعي استثناءً لهذه القاعدة. منذ انتهاء ولاية الرئيس السابق ميشال عون، وكما عشية كل استحقاق رئاسي، تحوّل الصرح

> تدرك بكركي انه لن ينفع مع حزب الله لا مرشّح مواجهة ولا مرشح تحدّ ولا مرشح إحراج

محجّة للمرشحين، الطبيعيين وغير الطبيعيين. كثر من الأطراف السياسية يسعون اليوم إلى أخذ «بركة» سيده. وكثيرة هي الطروحات التي عُرضت عليه، من معظم الأطراف المسيحية، بالسير وراءه «إلى الآخر» إذا ما زكّى مرشحاً. قبل له، في هذا السياق، إن الاتفاق مع بكركي على مرشّح والتفاف المسيحيين حولها وحوله، لا شك سيجرح الآخرين، كل الآخرين، ويجعلهم ينزلون عند رغبة «أصحاب الموقع المسيحي»، ويلقي ما يشبه الحرم على أسم آخر يريده غيرهم، وينقل الاستحقاق من تحت عباءة السيد حسن نصر الله الى تحت عباءة الكاردينال.

إلا أن الراعي، على ما تؤكد مصادر قريبة من بكركي، يرفض أن «يزيح عن الخط» الذي سارت عليه الغالبية العظمى من أسلافه. صحيح أن لديه ميلاً إلى مرشحين معيّنين، وأن اسم الرئيس وشخصه وتاريخه ومواقفه أمور تهمّه، لكنه «لن يتورّط في لعبة كبّ الأسماء»، و«لن يكون محوراً أو متراساً تطلق النار منه على أي مرشح». فـ«بكركي ليست مطيّة لأحد، ولا تعمل لدى حزب أو مرشح، ولا ترضى بأن تفاوض عن أحد أو يفاوض عليها أحد».

الراعي الذي يقوم بجولة تشمل الفاتيكان والأردن وبريطانيا والولايات المتحدة يدرك جيداً، وهو ما سمعه من أطراف غربية عديدة، عدم إمكانية السير بمرشح لا يحظى بموافقة حزب الله الذي لن ينفع معه، لا مرشح مواجهة ولا مرشح تحدٍّ ولا «مرشح إحراج». وما دام الجميع، بمن فيهم الأميركيون الذين يفاوضون الحزب عبر الفرنسيين، يقرّون بذلك، وبأن التسوية النهائية ستُعقد معه، فـ«لماذا وجع القلب؟ وهل لدى أحد وهم الإتيان برئيس لا يرضي الشيعة الذين يمثل غالبيتهم العظمى حزب الله وحركة أمل؟ إذاً، يمكن اختصار الطريق وما دام الجميع، بمن فيهم الأميركيون الذين يفاوضون الحزب عبر الفرنسيين، في البلد». وفي هذا السياق، تشير المصادر إلى أن الانفتاح الأخير لحزب الله على بكركي والارتياح البطريركي الذي لقيه «يمكن أن يؤسّسا لاختصار الوقت وييسّرا الجميع في الوصول الى التسوية المنشودة».

(هيلم الموسوي)

أكثر من ذلك، تلفت المصادر إلى «نقزة» في بكركي، إذ إن «الجميع يعرفون منذ شهور طويلة قبل نهاية العهد بأن الفراغ قادم، فلماذا حشر الصرح اليوم في الزاوية إن لم يكن ذلك لاستغلال موقعه؟».

بحسب المصادر نفسها، «خطة طريق» الكاردينال الراعي إلى إتمام الاستحقاق واضحة، وقد أطلع عليها الفاتيكان والفرنسيين وغيرهم، وهي تقوم على الآتي:

- ضرورة إتمام الاستحقاق اليوم قبل الغد عبر جلسات متتالية لا تسمح لأي صفقات خارج إطار الانتخاب. وإذا كان لا بد من تسوية، وهو ما لا بد منها، فلتحصل في مجلس النواب بين الجلسات. في رأي سيد بكركي، تتالي الجلسات سيشكل عامل ضغط على الكتل والنواب لعدم تضييع الوقت في مراضاة الخواطر على حساب البلد والاقتصاد وحياة الناس وهمومهم المعيشية.

- الجميع يعرف «البير وغطاه» ويعرفون كل مرشح بالاسم والتاريخ والانتماء، ويعرفون أيضاً أصحاب الحظوظ الأعلى من المرشحين. أما دغدغة بكركي بأسماء تستهويها من دون أن تكون لها حظوظ، فليس أكثر من إمعان في إطالة أمد الفراغ وتضييع الوقت، قبل أن نصل أخيراً إلى تسوية معروف سلفاً المكوّنات التي ينبغي أن تتفق عليها. فلماذا لا يتم اختصار الطريق؟

- لا فيتو على أحد، لا على جبران باسيل ولا على سليمان فرنجية ولا على جوزف عون أو غيرهم. ولا يمتلك أي من الأطراف أن يرفع الفيتو في وجه أي مرشح. الانتخاب يحدّد من يمتلك العدد الأكبر من الأصوات، و«يمكن لأي طرف أن يمتنع عن انتخاب مرشح لا يريده، لكنه لا يملك أن يضع فيتو عليه».

تقرير

انتحار سجين في رومية: قتلٌ مع سبق الإصرار

تحرك القضاء العسكري لمتابعة قضيّة انتحار سجين في رومية كان يعاني من اضطرابات سلوكية وفصام حاد. امتنعت إدارة السجن عن تزويده بالعلاج النفسي الذي كان يتلقاه

لينا فخر الدين

تفاعلت قضيّة انتحار السجين محمود الحسن قبل أيام داخل زنزانته في المبنى «ج» (مبنى الخصوصية الأمنية) داخل سجن رومية. ووضع القضاء العسكري يده على الملف، فاستجوب المسؤولين عن المبنى، وتردّد أنه أوقف ضابطين وعدداً من العسكريين رهن التحقيق في انتظار انتهاء التحقيقات، بعد تأكيد سجناء أنّ العسكريين رفضوا تزويد الحسن بالعلاج الذي كان يطلبه.

وفي التفاصيل التي رواها سجناء لـ«الأخبار»، فإنّ الحسن (30 عاماً) الذي كان يُعاني من اضطرابات سلوكية وفصام حاد اقدم على الانتحار بعدما رفضت إدارة السجن تزويده بدواء يتلقّاه لتخفيف اضطراباته النفسيّة. وأوضح هؤلاء أن السجين اتصل نحو الواحدة فجراً بالعسكري المسؤول عن المبنى عبر جهاز «الأنترفون» المثبّت داخل الغرفة، طالباً الحصول على حبّة مُهدئ، فهدده الأخير بـ«الدعوسة» في حال كرر الاتصال. ولأنه كان يُدرك أنّ حالته النفسيّة متدهورة، أخذ بالصراخ بأعلى صوته، فتوجّهت عدد من العسكريين إلى الجناح الأيمن في الطبقة السادسة في المبنى «ج»، وعمدوا الى شتمه وتهديده. بعدها، انتظر الحسن نوم زملائه، وتسلّق البوابة الحديديّة وربط «شرشف» السرير في أعلى إطار حديدي، واضعاً حداً لحياته.

تفتح الحادثة الباب واسعاً على كيفيّة تعامل القضاة والقوى الأمنيّة مع المرضى النفسيين داخل السجون. إذ إن عائلة السجين كانت قد أبلغت قاضية التحقيق التي استجوبته

> القضاء العسكري يوقف ضابطين وعسكريين رهن التحقيق

انّه يُعاني من فصام حاد وأنه حاول الانتحار مرتين في الفترة الأخيرة، إضافة إلى أنه يتلقّى علاجاً مُخصّصاً. رغم ذلك، أصرّت القاضية على استجوابه وتوقيفه وأحالت الملف إلى أحد المُدّعين العامين الذي لم يوقّع على طلب إخلاء سبيله بسبب الاعتكاف القضائي. وعليه، بقي الحسن في مخفر فرن الشبّاك حيث كانت عائلته تؤمن له دواء «ريسبيردال» (من مضادات الذهان). لكن المفاجأة كانت في صدور الأمر بنقله الخميس الماضي إلى المبنى «ج» المخصص للسجناء من ذوي الحصوصيّة الأمنية والذي يعدّ أكثر السجون تشدّداً، رغم علم القوى الأمنيّة بالاضطرابات النفسيّة التي كان يُعاني منها والتي كانت واضحة على سلوكه، ما كان يستدعي علي الأقل وضعه في جناح أقل تشدّداً من غيرها. وبحسب والده محمد الحسن، كانت «الطامّة الكبرى أنّ إدارة السجن لم تزوّده بعلاجه النفسي، إذ اكتفت بالأدوية الأخرى المخصصة له كدواء القلب، مشيراً إلى أنّ ابنه «كان متعباً في أيّامه الأخيرة وظهر ذلك أثناء اتصاله الأخير بي». هكذا ترك القضاء والقوى الأمنيّة ابن الـ 30 عاماً يواجه حتفه كمصير إبرّامي، بدل إحالته إلى مصحّة نفسيّة أو مركز تأهيلي أو حتى إلى المبنى المخصص للمرضى النفسيين داخل سجن رومية (المبنى الأزرق) لمتابعة علاجه.

نائبة رئيس «جمعية لجان أهالي الموقوفين» رائدة الصلح شدّدت على ضرورة أن تحظى مثل حالة الحسن بعناية خاصة، مناشدةً المعنيين والمراكز الطبية الموجودة في السجون المتابعة مع الأهالي للتأكد من السجل الصحي والنفسي للسجناء.

على الغلاف

إذلال المتقاعدين: لماذا يعيشون كثيراً!؟

بحجة أنهم «يعيشون كثيراً وليسوا منتجين»، لا تتردّد السلطة السياسية في إذلال الموظفين المتقاعدين على أبواب المستشفيات والمصارف. العلاقة بين المتقاعدين وزملائهم في الخدمة ليست على ما يرام. ما يفتح المجال للمسؤولين لأن يتهاونوا بحقوق المتقاعدين ويستخفوا بهم

فاتن الحاج

لطالما اعتبرت السلطة السياسية المتقاعدين من الوظيفة العامة عبئاً ثقيلاً. تتمنى لو تتخلّص منهم. وبدلاً من أن يكون التقاعد مساحة لبناء النفس صحياً واجتماعياً، تضع السلطة المتقاعد في هوّة الفقر، وتذلّه على أبواب مصارف تحجز مدّخرات عمره و«تنقّطها له بالقطارة»، وأمام مستشفيات وصيدليات تتحكّم برقبته، حتى بات يستجدي ثمن الدواء من الأولاد والأحفاد.

ثمة سباق محموم بين الفاتورة الصحية وتقاعس السلطة في رفع اعتمادات تعاونية موظفي الدولة التي لا تغطي أكثر من 10% من كلفة الأعمال الطبية. فالتعاونية مثلاً تحدّد الآن تعرفة الطبيب المختص بـ650 ألف ليرة، في حين تتجاوز واقعاً الـ50 دولاراً. يروي متقاعدون كيف أن المستشفيات لم تعد تقبل مرضى غسيل الكلى؛ وعلى المريض أن يدفع كلّ ما يتوجب عليه، فيما أدوية الأمراض المستعصية والمزمنة غير متوفرة في الصيدليات، ولا حتى لدى تجار الأدوية، والبدائل مفقودة.

الأمن الصحي مفقود

أحد المتقاعدين يقول إن ابنته مصابة بالتصلّب اللويحي، وهناك إبرة كانت تؤمنها وزاره الصحة شهرياً، ولم تعد متوفرة لديها، إنما موجودة في بعض مستودعات تجار الأدوية، وثمنها يفوق معاشه التقاعدي.

ويروي الأستاذ المتقاعد، مهدي الرمح، تفاصيل رحلة علاج والدته التي كسرت وركها «اضطررنا أن ندور على أكثر من 6 مستشفيات في زحلة وبعلبك، ووصل المبلغ المطلوب دفعه كفارق لـ«التعاونية» إلى 4 آلاف دولار. أجرينا العملية في مستشفى بعلبك الحكومي، ودفعنا 12 مليون ليرة، إضافة إلى جهاز بقيمة 1100 دولار سدّدنا ثمنه مباشرة لمندوب الشركة الوكيلة قبل بدء العملية، بعدها خرجت من المستشفى. وبسبب أزرقاق في أسفل قدمها، اشترط مستشفى رياق قبل إدخالها، وبكفالة طبيب القلب، دفع فارق الليلة العادية 180 دولاراً، وفارق ليلة العنّاية الفائقة 250 دولاراً. بعد وساطات واتصالات دفعنا في غرفة عادية بدل أربع ليال 26 مليوناً، قبل أن ننقلها إلى بيروت حيث بقيت أسبوعين قبل وفاتها، وقد بلغ فارق «التعاونية» 82 مليوناً، أي أننا دفعنا في أقلّ من شهر أكثر من 160 مليون ليرة، في حين أنني وشقيقي أستاذان متقاعدان من التعليم الثانوي الرسمي، ومجموع مدخولنا السنوي لا يتجاوز 80 مليون ليرة، أي أننا نحتاج إلى سنتين لتسديد ديون المستشفيات فقط».

يختصر الأستاذ المتقاعد سميح سابا الروايات بالقول: «بتنا نطلب الانتقال إلى رحمة ربنا لنرتاح من الذلّ على أبواب المستشفيات! أصبحنا شحّادين، نستجدي ثمن الدواء من الأولاد والأحفاد الذين يعملون في بلاد الاغتراب، ومن ليس عنده أحد في الخارج فما حيلته؟ يمنّوننا بزيادة ضعفي الراتب الذي نهبوا 95% أساساً من قيمته، حتى هذه الزيادة الهزيلة خسرت 50% من قيمتها منذ إقرارها وحتى اليوم، نتيجة الارتفاع الجنوني لسعر الدولار».

بين الودائع والرواتب

وإذا كان هذا قدر كلّ موظف متقاعد، يضطر هو أو أحد أفراد عائلته لدخول مستشفى، فإن الوقوف على أبواب المصارف لا يقلّ إذلالاً. تشير الأستاذة المتقاعدة، بهية بعلبكي، إلى أن «المتقاعد مضطرّ لأن يقف تحت الشمس أو تحت المطر في صفوف طويلة أمام الـATM لكي يسحب القليل مما أحيل اليه. ودائع المتقاعدين مصادَرة من مصارف تتصرّف على كيفها، فهناك من يضع سقوفاً للسحب أقلّ من المعاش، وهناك من يمتنع عن دفع المعاشات بالدولار على أساس صيرفة؛ وهناك أيضاً من يجعل السحب من الصرّاف الآلي غير ممكن في أغلب الأحيان؛ وعلى المتقاعد أن يذهب من بيته إلى المصرف مرات عدة ليقبض راتبه التقاعدي».

ورغم أن في حوزة الأستاذ المتقاعد محمد العنان بطاقتين: إحداهما للوديعة والثانية للراتب، إلا أن المصرف مصرّ على احتساب الرواتب «كجزء من حقنا من الوديعة عند تحديد سقف السحوبات، ما يعني أنه بدلاً من أن أكون قادراً على سحب 23 مليون ليرة في الشهر، يعطونني 12 مليون ليرة (11 مليوناً من الراتب ومليون من الوديعة فقط)». المطلوب، بحسب العنان، أن «يفصلوا حقنا من الوديعة عن حقنا بالراتب حتى لو كانت لدينا بطاقة واحدة، فكيف بالأحرى إذا كانت لدينا بطاقتان، فالراتب هو حق مكتسب ويجب أن نسحبه في أي وقت، ودفعة واحدة وليس له علاقة بالوديعة».

رئيس رابطة المتقاعدين في التعليم الأساسي الرسمي، غطاس مدوّر، يتحدث أيضاً عن تلاعب المصارف بالراتب ومنحة التعليم، رغم صدور قوانين تنص على دفعها كاملة ونقداً بالليرة اللبنانية، في حين يعمد بعضها إلى دفعها على شكل «شيكات». ويثير مدوّر روتين تأخير معاملات التقاعد، إذ إن أحد المدرسين تقاعد في شهر أيار الماضي، ولم يستحقّ راتبه التقاعدي حتى اليوم.

بحسب نقابيين لا يحيل للموظفين في الملاك والتقاعد عن النزول إلى الشارع (مروان بو حيدر)

> تحدّد بعض المصارف سقف السحوبات باحتساب الرواتب كجزء من الوديعة

العلاقة مع الملاك

كيف هي علاقة الموظفين المتقاعدين مع موظفي الملاك؟

تجيب بعلبكي: «العلاقة ليست جيدة بين مجمل المتقاعدين وروابط موظفي القطاع العام، فالأخيرة لم تساند حق المعلمين المتقاعدين بتطبيق المادة 18، كما وردت في قانون سلسلة الرتب والرواتب، بل وقفت ضدهم ورضيت بمنع استفادة المعلمين الجدد ومن سيتقاعدون بعد إقرار السلسلة من الست درجات بسبب قبول قيادات هذه الروابط بأن تكون استثنائية. كذلك قصّرت في مواجهة ما كان يحضر من قضم مكتسبات نظام التقاعد لجهة تقليص عدد المنتفعين من ورثة المعاش التقاعدي، وخصوصاً البنات والزوجات، كما قبلت بمبدأ المساعدة الاجتماعية، بدلاً من تصحيح الرواتب، وألّا تكون في صلب الراتب، ما يضرب حقوق المتقاعدين الجدد، بينما فقدت المعاشات قيمتها».

وتلفت إلى أن «السلطة تتهاون بحقوق المتقاعدين وتستخفّ بهم، إذ شهدنا تأجيل دفع المعاش التقاعدي في موعده، بينما دفعت الرواتب في موعدها». يتحدث مدوّر عن المعاناة التي واجهتها الرابطة مع رابطة مدرسي الملاك، إذ «رفضت استقبالنا في مركزها وبقينا 5 سنوات نتنقّل بين منازل أعضاء الهيئة الإدارية وليس لدينا مركز شرعي نجتمع فيه، ومنهم من طالب بحل رابطتنا لأنهم يريدون أن تكون مطواعة لفئة سياسية معينة».

بعض الروابط لا تمثّلنا

وعمّا إذا كانت روابط المتقاعدين تمثلهم وتطالب بحقوقهم، ترى بعلبكي أن بعض الاتحادات التنسيقية وروابط المتقاعدين تكمل دور روابط التعليم المصادرة من السلطة، وهي متواجدة لضبط إيقاع المطالب وفق ما تسمح به المنظومة السياسية، وخصوصاً أن الكثير من أعضائها يهادنون السلطة، وإن أعلنوا غير ذلك، وهم يهلّلون لكلّ «مكرمة» منها وكأنها الإنجاز العظيم، سائلة: «أيّ إنجاز أن يعطوا 3 رواتب ليست في أساس الراتب، فيما ينبغي أن يعطوا 30 أضعاف المعاش لتحقق القيمة الشرائية السابقة لمعاشنا؟». وتشير إلى أن الروابط شهدت إلغاء متدحرجاً لدولة الرعاية الاجتماعية، وفقداناً للمكتسبات الاجتماعية الصحية، وتدهوراً كبيراً في تقديمات تعاونية الموظفين الاجتماعية والصحية، وانهياراً شبه كامل للقوة الشرائية للرواتب، وارتفاعاً جنونياً في سعر صرف الدولار.

من جهته، يشكو سابا من أنّ «من يدّعون تمثيلنا من روابط القطاع العام ومتقاعديه يقفون متفرّجين لارتباطهم وتبعيتهم لسلطة الفساد، وهم يهلّلون لزيادات وهمية على الرواتب يأكلها التضخم بين ليلة وضحاها، كما أنهم يوافقون على عدم إقرار القوانين التي تحافظ على قيمة الرواتب وحصول أكثرية المتقاعدين على أموالهم المحتجزة في المصارف، ومنها قانون الكابيتال كونترول واستعادة الأموال المنهوبة».

المجلس التنسيقي

جرت في بداية عام 2022 محاولات للتنسيق بين مكوّنات المتقاعدين، وولد «المجلس التنسيقي لمتقاعدي القطاع العام» الذي يضمّ ممثلين عن المجلس الوطني لقدامى موظفي الدولة، رابطة متقاعدي أساتذة الجامعة اللبنانية، منتدى متقاعدي السفراء، رابطة متقاعدي القوى المسلحة، رابطة متقاعدي أساتذة التعليم الثانوي الرسمي ورابطة متقاعدي التعليم الأساسي الرسمي. ونشر المجلس بيانات عدة بما خصّ حقوق المتقاعدين، وكانت له بيانات بشأن تدهور القيمة الشرائية للمعاشات التقاعدية، وكان من مطالبه أيضاً تعزيز تقديمات تعاونية موظفي الدولة، وعُقد لقاء ان مع المدير العام للتعاونية حول هذا الموضوع، وكان له لقاء مع رئيس الحكومة والمدير العام لوزارة المال. يقول مدوّر إن «المجلس التنسيقي تقدّم، خلال ولاية المجلس النيابي السابق، بمشروع قانون إعطاء المتقاعدين 6 درجات أسوة بزملائهم في الخدمة لتعويض بعض الخسارات، إلا أن ولاية المجلس انتهت، ولم يخرج المجلس الجديد المشروع من الدرج».

لا بديل للموظفين في الملاك والتقاعد، بحسب مدوّر، عن «النزول إلى الشارع وتطويق منازل النواب والوزراء، وعدم الخروج منه إلا بتصحيح الرواتب». ووفق بعلبكي، المواجهة التقليدية المهادنة لهذه السلطة الفاسدة والناهبة لم تجد نفعاً من قبل، ولم يعد هناك خلاص اليوم بالدبلوماسية، إنما بنزول كلّ المتضررين إلى الشارع.

سيرة اليمين الإسرائيليّ بشخص بنيامين نتنياهو [5]

أسعد أبو خليل *

تتناول هذه السلسلة الكتاب الجديد لبنيامين نتنياهو بعنوان «بيبي: قصتي»، وهو يتضمّن سيرته السياسيّة وسرديّة اليمين الصهيوني المعاصر. أشرتُ في العدد الماضي إلى أنني لن أشير في الاستشهادات إلى عدد الصفحات لأنني قرأتُ الكتاب في نسخة إلكترونيّة، وعدد الصفحات ليس نفسه باختلاف البرامج والإعدادات الشخصيّة للقارئ).

الأغرب في سرديّة نتنياهو، أنه يعبّر المسؤولين الأميركيين، من هيلاري كلينتون إلى باراك أوباما إلى جون كيري ومادلين أولبرايت - مع أن هؤلاء أسدوا خدمات جلّى إلى عدوان إسرائيل واحتلالها - بسبب اختلافهم معه في تقييم حاجات إسرائيل العسكرية والأمنيّة. وأوباما هو الذي وقّع اتفاق مساعدات عسكرية بقيمة 38 مليار دولار لدولة إسرائيل على مدى عشر سنوات، لكن هذا لا يُحتسب رصد أموال إضافية في الميزانيات الجديدة للكونغرس الأميركي. واتفاق الـ38 ملياراً، كان أكبر حزمة مساعدات عسكرية أميركية لإسرائيل حتى تاريخه. ولو قيل - كما يقول نتنياهو - إن أوباما لم يكن متعاطفاً بما يكفي مع إسرائيل، فهذا يزيد - لا يقلّل - من جرمه، لأنه فعل ما كان ملائماً سياسياً، بصرف النظر عن المبادئ أو الأخلاقيات. ويكشف نتنياهو المزيد من فضيحة التنازلات التاريخية لياسر عرفات وفريقه في مفاوضات أوسلو المخزية. فقد تعهّدت القيادة الفلسطينية بالامتناع عن التقدُّم بطلبات انتساب إلى منظمات دولية من دون موافقة إسرائيلية مُسبقة. لقد قبل ياسر عرفات بما لم يَقبل به قائد حركة تحرّر في تاريخ معارك الاستقلال في الدول النامية. ولن يستطيع النضال الفلسطيني أن ينهض من كبوته أو سباته، من دون محاسبة جديّة لدور ياسر عرفات في قتْل النضال العسكري الفلسطيني ضدّ الاحتلال. أما مغازلة عرفات، في آخر أيّامه، لـ«شهداء الأقصى»، فلم تكن أكثر من «تحريك» (وهذه كانت كلمة مفضّلة عند عرفات) للساحة الدبلوماسية، ولـ«عملية السلام» الأميركية. أيُّ تنازل سياسي يماثل الموافقة على إعطاء العدوّ حقّ تعطيل طلبات انتساب فلسطينية سيادية في منظمات دولية؟ لم يترك عرفات تنازلاً إلّا ومنحه بالمجّان لإسرائيل. لكن ليس هذا مستغرباً من «القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية» الذي قبل بتعديل الميثاق الوطني الفلسطيني، مقابل أن يزوره بيل كلينتون في غزة.

ويفصح نتنياهو عن المفهوم الحقيقي لِما يمكن أيّ حكومة إسرائيلية أن تقبل به بالنسبة إلى «السيادة الفلسطينية» على الأراضي التي يمكن إسرائيل أن تنسحب منها مستقبلاً في أيّ اتفاقية سلام (أي نسبة صغيرة من أراضي 1967). يصرّ الجانب الإسرائيلي على الاعتراف الأميركي والفلسطيني بحقّ إسرائيل في تعقّب مطلوبين وإرهابيين على أيّ بقعة أرض فلسطينية يمكن أن ينسحب منها الاحتلال. ويُطمئن الجانب الأميركي، بشخص جون كيري، نتنياهو بالنسبة إلى التدريب الأميركي لأيّ قوات أمن فلسطينية. ويسخر نتنياهو من كيري الذي عرض عليه العثور على أشلاء لجنود إسرائيليّين على الأرض السورية. وبالفعل، عثرت القوات الروسية على أشلاء لجندي إسرائيلي (من الضروري في الإعلام العربي التمنّع عن ذكر أسماء الجنود الإسرائيليين، المحتجَزين أو القتلى، لأن ذلك يرسّخ المعيار العنصري الغربي والإسرائيلي الذي يذكر بالاسم والصورة «الضحيّة» الإسرائيلية، بينما يصوّر الضحايا العرب على أنهم أكوام من دون أسماء أو وجوه أو عائلات). ولا يجد نتنياهو غضاضة في طلب المساعدة من بوتين في تعطيل قرار في مجلس الأمن ضدّ إسرائيل.

ويتوضّح في السرديّة، طبيعة الشوق الذي يكابد حكومات الدول النامية - بما فيها العربية - في السعي إلى إقامة علاقات مع «قوى راديكاليّة» ستُحكم السيطرة على لبنان في ما لو انسحبت إسرائيل منه. لكنّ السؤال: لماذا لا تحتلّ إسرائيل كل العالم العربي من أجل منع القوى «الراديكاليّة» من السيطرة على مقدّراته؟ ليس في الأمر نكتة، لأن إسرائيل حاولت - وتسعى بالفعل إلى - السيطرة على كل حكومات العالم العربي لتخلق بيئة حاضنة لها ومتسامحة مع احتلالها وعدوانها. هذا هو مضمون الاتفاق الإبراهيمي، وباعتراف جارد كوشنر في كتابه (وستكون لي عودة إليه، لكن ليس في مُطوّلات، لا خوف).

ويتحدّث نتنياهو بصراحة شديدة عن عنصريّة إسرائيل نحو المهاجرين الأفارقة الذين صدّتهم دولته بالقوّة العسكريّة. يقول إن الكيان عانى، في عام 2013، من «تدفّق متنام للمهاجرين الأفارقة غير الشرعيّين». ويزعم أن المحاكم الإسرائيلية تفرض رعاية اللاجئين - وهي التي خلقت واحدة من أكبر الجاليات اللاجئة في العالم، وقتلت كل لاجئ فلسطيني حاول أن يعود إلى أرضه بعد طرْده منها في عام 1948 -. وبعنصريّة نفهدها لدى الصهاينة من أمثال نتنياهو، يقول الأخير عن المهاجرين الأفارقة: «الجريمة والعنف ازدهرا في الأحياء التي دخلوها». لو أن هذا الكلام صدر عن أيّ زعيم عربي، لكانت صحف الغرب قد صدرت بعناوين مثيرة عن عنصريّة زعماء عرب أو مسلمين، ولكانت الحكومة الأميركية قد دعت إلى جلسة عاجلة لـ«مجلس حقوق الإنسان» في الأمم المتحدة. لكنّ الغرب بات صريحاً جداً في عنصريّته، وهي تتجلّى في التغطية المستمرّة للحرب في أوكرانيا، كما في التغطية لأيّ جانب من جوانب الصراع العربي - الإسرائيلي. ويرسّخ نتنياهو عنصريّته عبر التذكير بأن الدولة حريصة على الحفاظ على الأكثريّة اليهوديّة، وهو ما يتطلّب فرْض الترجيح الديموغرافي على ما هو عليه. طبعاً، لا يذكر أن الأكثريّة اليهودية لم تتحقّق إلّا بطرد الشعب الفلسطيني، وبمنْع المطرودين من العودة إلى وطنهم.

يتحدّث بحنق عن الاتفاق النووي الذي توصّلت إليه إدارة أوباما مع الحكومة الإيرانية، لكنه يشوّه مضمونه ويزعم، كاذباً، بأن الاتفاق لا يتضمّن تفتيشاً للمنشآت النووية. ويستشهد نتنياهو مزهوّاً بخطبه ضدّ الاتفاق. كما يتحدّث عن مضمون محادثاته مع بوتين حول المصالح الإسرائيلية في سوريا. على القارئ العربي أن يلاحظ تطوّر الخطاب والوقاحة الصهيونيّيْن: هذه دولة كانت تزعم أنها لا تريد غير حماية مصالحها وأمنها ضمن حدودها - أي حدود دولة فلسطين. لكنّها باتت صريحة في حديثها عن مصالحها الحيويّة في لبنان وفلسطين وسوريا وحتى في السودان، حيث دعمت وصول طغمة عسكرية عميلة إلى الحُكم. ويقول نتنياهو، إن بوتين «لا يكترث لأيّ عمل تقوم به إسرائيل في سوريا ضدّ إيران أو ضدّ حلفائها». ولا تحتاج إلى شهادة نتنياهو في ذلك. من المؤكد أن الغارات التي تخطّت المئتيْن ضدّ سوريا، كانت بمباركة مباشرة من بوتين الذي يعتبره البعض في فريق المهانعة، عنصراً فيها. وحتى في دعوته اليهود الروس للهجرة إلى إسرائيل، فإن بوتين لم يكترث للطلب، حتى إن نتنياهو طلب منه المساعدة في العثور على أشلاء لجنود إسرائيليّين على الأرض السورية. وبالفعل، عثرت القوات الروسية على أشلاء لجندي إسرائيلي (من الضروري في الإعلام العربي التمنّع عن ذكر أسماء الجنود الإسرائيليين، المحتجَزين أو القتلى، لأن ذلك يرسّخ المعيار العنصري الغربي والإسرائيلي الذي يذكر بالاسم والصورة «الضحيّة» الإسرائيلية، بينما يصوّر الضحايا العرب على أنهم أكوام من دون أسماء أو وجوه أو عائلات). ولا يجد نتنياهو غضاضة في طلب المساعدة من بوتين في تعطيل قرار في مجلس الأمن ضدّ إسرائيل.

ويتوضّح في السرديّة، طبيعة الشوق الذي يكابد حكومات الدول النامية - بما فيها العربية - في السعي إلى إقامة علاقات مع إسرائيل. يذكر نتنياهو، من دون إدراك أبعاد كلامه، أن الحديث إلى كل حكومات العالم النامي يصل دائماً إلى موضوع العلاقة مع الحكومة الأميركية، إذ يسألون نتنياهو مباشرة: «هل يمكن لك أن تساعدنا في العلاقة مع الإدارة؟ مع الكونغرس؟ مع الجالية اليهودية - الأميركية؟ مع الإيفانجيليين؟». ليست إسرائيل هي مقصد حكومات هذه الدول، بل أميركا، والطريق إلى أميركا أقصر وأسهل عندما يمرّ عبر إسرائيل. هذا ما عبّر عنه أنور السادات وياسر عرفات. وحتى حكومات الخليج طرقت أبواب إسرائيل للاقتراب من أميركا أكثر، وللحصول على أسلحة أميركية أكثر تطوّراً (على رغم تقزيب حكام الإمارات الشديد لإسرائيل، إلّا أن الإدارة الأميركية لا تزال تفرض ضوابط وشروطاً على بيْع الأسلحة الأميركية إلى الإمارات لأنّ إسرائيل تحاجج أمام الإدارة بأن حكومات الخليج غير مستقرّة، ويمكن الأسلحة المتطوّرة أن تقع في أيدي أشرار - بنظر إسرائيل، طبعاً).

ويصارحنا نتنياهو عن حسن علاقته بمارك زوكربرغ، صاحب شركة «ميتا» التي تملك «فايسبوك» و«إنستغرام» (ولقد طُردتُ أنا من «فايسبوك» شرّ طردة، لكن هذا موضوع آخر لا أظنّ أنه يعنيكم). تعرّف نتنياهو إلى زوكربرغ في دافوس، وأصبح يتحادث معه في شؤون «الإجراءات الخاصّة بالإنترنت». نفهم الآن لماذا تفرض شركة «فايسبوك» ضوابط صارمة على حريّة التعبير للعرب عن فلسطين، فيما تترك الأمور على غاربها حين يتعلّق الأمر بالتعبيرات الإسرائيلية والصهيونية العالمية ضدّ العرب والمسلمين. وقبل أيّام فقط، وبإيعاز سعودي - إسرائيلي مشترك على الأرجح، سمحت شركة «ميتا» بحريّة نشْر الشعار الذي يدعو إلى موت المُرشد في إيران. لكن أيّ دعوة من قِبَل أيّ مُشترك لموت مسؤول إسرائيلي، تؤدّي إلى إقصاء أبدي عن «فايسبوك» وعن «إنستغرام».

ومرّة، سأل نتنياهو رئيس الحكومة اليابانية، شنزو آبي، عن سبب قلّة الشركات اليابانية التي تستثمر في إسرائيل، فأجابه نتنياهو بأن وزارة الخارجية تخشى من المقاطعة العربية. فقال نتنياهو: «أيّ مقاطعة؟ ألا يعرفون (في وزارة الخارجية) أن المقاطعة انتهت؟ الكثير من الدول العربية تتاجر معنا، والبعض منها من دون وسطاء». نتنياهو على حقّ. اشترطت الحكومة الأميركية على دول الخليج، في عام 1990، أن تنهي رسميّاً المقاطعة العربية لإسرائيل، في مقابل التدخّل العسكري الأميركي لمصلحة الأسرة الكويتية الحاكمة. لم يَعُدْ هناك مَن يلتزم بالمقاطعة، إلّا (بعض) لبنان و(بعض) سوريا والجزائر (وبعض) العراق.

ويتحدّث نتنياهو عن مذكّرة التفاهم بين الحكومتيْن الأميركية والإسرائيلية (التي ورد ذكْرها أعلاه)، والتي تتعهّد فيها أميركا بدفع مبلغ 38 مليار دولار (ذكر نتنياهو خطأً أو خفراً مبلغ 36 مليار دولار) لإسرائيل أو خفراً مبلغ 36 مليار (من الحتمي أن إسرائيل ستزيد من طلبات التمويل الأميركي لها، بعدما وصل رقم التمويل الأميركي لأوكرانيا إلى أكثر من مئة مليار دولار). ولم ينتظر نتنياهو مجيء رئيس جديد للتفاوض حول المذكّرة هذه، لأنه كان يعلم أن أوباما، وعلى رغم عدم انسجامه معه، مغلوب على أمره، ولا يمكنه أن يقاوم مشيئة الكونغرس واللوبي الإسرائيلي حول حجم الدعم الأميركي هذا. تمّ توقيع المذكّرة في أيلول 2016، قبل أقلّ من شهريْن من الانتخابات الرئاسية. ومن المرجّح أن نتنياهو أصرّ على توقيع المذكّرة قبل نهاية عهد أوباما لعلْمه بضعْف الأخير إزاء اللوبي الإسرائيلي. أراد نتنياهو أن يدّله، وفعل ذلك بنجاح، خصوصاً عندما خطب أمام الكونغرس ضدّ الاتفاق النووي مع إيران.

يتحدث نتنياهو عن إعجاب حكّام العرب بصلابة معارضة إسرائيل للقدرات النووية الإيرانية (أ ف ب)

> **تتوضّح في السردية طبيعة الشوق الذي يكابد حكومات الدول النامية - بما فيها العربية - في السعي إلى إقامة علاقات مع إسرائيل**

ويتحدّث نتنياهو عن إعجاب حكّام العرب بصلابة معارضة إسرائيل للقدرات النووية الإيرانية، فحتى اغتيال محمود المبحوح في دبي، عام 2010، لم يُعطل العلاقات السريّة بين نتنياهو ودول الخليج. يقول إن اغتيال المبحوح وانفضاح أمر عملاء «الموساد» (الذين خرجوا بنجاح من البلاد بإرادة من محمد بن زايد الذي يضع التحالف بينه وبين إسرائيل في رأس أولويّات سياسته الخارجية) أحرجا حكومة الإمارات. كان الاتفاق بين محمد بن زايد ونتنياهو أن يقوم فريق الاغتيال بالعمليّة من دون ضجيج أو افتضاح أمر. وفضّح صور عملاء «الموساد» كان بسبب عدم التنسيق، على الغالب، بين ابن زايد ومحمد بن راشد. لكنهما سارعا إلى لفلفة الموضوع، ومنعا قائد شرطة دبي من الحديث عن الموضوع بعدما نال بعضاً من شعبيّة عندما نشر صور عملاء «الموساد». ولعب توني بلير، الذي كنز الملايين من خلال علاقات «البزنس» التي أقامها في الخليج، دوراً كبيراً في التقارب بين دول الخليج وإسرائيل. ويبدو أن حكّام الخليج سعوا إلى لقاء نتنياهو أكثر ممّا سعى إليه الأخير. ويقول إن بلير مارس ضغطاً من أجل تحقيق اللقاء مع حكّام الخليج. وبواسطته، التقى مستشار نتنياهو، إسحاق مولشو، مع ممثّلين لحكّام «رئيسيّين» في الخليج بين عامي 2016 و2018، وحصل لقاء مباشر مع ابن زايد و«قادة آخرين». «القادة الآخرون» هو الاسم الكودي لمحمد بن سلمان. وحصلت اللقاءات في قبرص وفلسطين المحتلّة، وأدّى ذلك إلى اتصالات هاتفيّة بين نتنياهو وحكّام الخليج.

وعقد نتنياهو اجتماعات في الخليج عدّة مرّات. وفي أحدها، حطّت طوّافة تحمل رئيس الحكومة الإسرائيلية على متن يخت في البحر الأحمر. ووجد نتنياهو الحكام العرب أذكياء وحاذقين - لكنّ العربي الذكي والحضاري، بحسب المعايير الصهيونية، هو الذي يعتنق الصهيونيّة ويذمّ قضيّة الشعب الفلسطيني. وهو تبادل الحديث مع هؤلاء الزعماء «العرب»، واتّفقوا جميعاً على أنهم غير راضين على اللين الأميركي إزاء التعاطي مع إيران. هؤلاء الأشاوس لا يقبلون بغير الحرب الضروس لإسقاط النظام الإيراني واحترام حقّ إسرائيل باحتكار القوّة الاستراتيجية في كل منطقة الشرق الأوسط. هذا هو مفهوم العروبة الجديدة التي ينشرها النظامان السعودي والإماراتي، ويصرّان على تعميمها في لبنان. من هنا، يمكن فهْم سبب حماسة كل عملاء إسرائيل في لبنان - هؤلاء الذين كانوا يذمّون العنصر العربي ويربطون الحضارة العربية بالجمال والصحارى حصراً - بالمفهوم الجديد للعروبة. واتفق المجتمعون على التعاون في «المجالات العسكرية والاقتصادية والدبلوماسيّة». هذا هو الدور الحالي لـ«جامعة الدول العربية». ولا يمكن أن يُحسن إدارة الدور الجديد أكثر من أحمد أبو الغيط، الذي لا تزال صورته متابطاً تزيفي ليفني تختصر كل مسيرته الدبلوماسيّة. وصارح الزعماء العرب الغروبيّون، نتنياهو بأن خطابه أمام الكونغرس الأميركي في رفْض الاتفاق النووي، كان السبب المحوري في جعْلهم نتواقين لتقوية العلاقة مع إسرائيل (استعمل نتنياهو كلمة «تقوية العلاقة» في اعتراف بتاريخ أطول من العلاقة السريّة بين إسرائيل وأنظمة الخليج، خصوصاً السعودية والإمارات). وينسب نتنياهو فضل «اتفاقات إبراهيم» إلى نفسه، إذ يقول إن ذلك اللقاء (على متن يخت محمد بن سلمان في البحر الأحمر - هو لا يذكر محمد بن سلمان بالاسم حماية له لكن ليس في الأمر حزْورة عويصة) بنى أسس الاتفاقات التي أشرف عليها جارد كوشنر في ما بعد.

يتّسع نتنياهو في الحديث عن دونالد ترامب. يقول إنه لقي من الترحاب في البيت الأبيض ما لم يلقه في أيّ إدارة من قبل. تركّز الحديث مع ترامب على الخطر الإيراني. ساله الأخير عن إيران: «لماذا لم تقصفهم؟»، فأجابه نتنياهو: «لأنه لم تكن لي أكثرية الأصوات آنذاك، لكنه يبقى خياراً، إلى جانب أمور أخرى». الجواب، طبعاً، كان كاذباً. السبب في تمنّع إسرائيل عن قصف إيران من قبل يعود إلى: 1) عدم القبول الأميركي. ويعترف جورج دبليو بوش بأن الحكومة الإسرائيلية طلبت موافقة أميركية، لكنه لم يمنحها. وكان أوباما معارضاً للضربة الإسرائيلية أيضاً. 2) خافت الأجهزة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية من عواقب الضربة، ولم تعطِ موافقة. 3) إسرائيل تخاف، ولا تستطيع أن تسبطر كلياً على مضاعفات أيّ ضربة إسرائيلية ضدّ إيران. حرب تموز غيّرت الكثير من المعادلات والحسابات الإسرائيلية. الدولة التي لم تكن تخشى ضرْب ثلاث دول عربية في وقت واحد، باتت تخاف من ضرْب ميليشيا لبنانية عمادُها متطوّعون شباب في الجنوب اللبناني. وقوّة إيران العسكرية لا تُقارَن بما واجهته إسرائيل من قبل من خنوع عربي رسمي. وامتداد الردّات العسكرية على إسرائيل هو اعتبار إسرائيلي كبير. وإيران تتحفّظ في الردّ على اغتيالات أميركية وإسرائيلية، وتتحفّظ أيضاً في الردّ على عدوان إسرائيلي ضدّ قواتها وسلاحها في سوريا، لكنها لا تستطيع أن تتمنّع عن الردّ القوي على عملية عسكرية إسرائيلية ضدّ منشآتها، لأن ذلك يستبّب في إلحاق الأذى الكبير بالحالة الاستراتيجية للنظام. لا يمكن تسويغ الإنفاق العسكري الهائل على ترسانة تقليدية معزّزة بقدرات نوويّة إذا لم يكن هناك استعداد للردّ على عدوان إسرائيلي مباشر. وإسرائيل لا يمكن أن تستمرّ في قتال طويل الأمد، خصوصاً بوجود التهديد الصاروخي والمسيّراتي الذي أظهر فعاليته في الحرب في اليمن، وفي أوكرانيا.

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

أين المعارضة وأيّ معارضة!

سعد الله مزرعاني *

الحديث عن المعارضة اللبنانية يطول. حَملت، هذه الكلمة، في التداول الشائع في السنوات الأخيرة، العديد من المعاني. ذلك أنه بمقدار ما كانت الأزمة الطاحنة التي اندلعت ضاريةً ومتسارعة، منذ أواخر عام 2019، كانت تتواصل وتتصاعد، بقسوة وتوحّش، مدمّرةً حياة حوالي 90% من الأُسر اللبنانية. في السابق، كانت تضاف أسماء وألقاب حركات جديدة تُصنِّف نفسها أو تُصنَّف في نطاق «المعارضة». هكذا، أصبحت المعارضة التي ينبغي أن تكون واحدة أو موحّدة في مواجهة الأزمة ومسبّبيها، معارضات متعدّدة ومتباينة ومشتّتة في أغلب المواقف والمنعطفات، فضلاً عن الأهداف والأساليب، وأساس المنطلقات والمرجعيات ما بين الداخل والخارج. إلى ذلك، فقد أدّى انخراط واشنطن وحلفائها الغربيين والعرب في الأزمة اللبنانية، تغذيةً واستغلالاً، إلى مزيد من الاضطراب في المشهد والعلاقات والممارسات والأهداف... ولقد جرت محاولة ترصيد كل ذلك، بعد تعاظم الأزمة، وبمواكبة حملة إعلامية ضارية، في الانتخابات النيابية التي جرت في منتصف أيار من العام الماضي، بعدما فشلت محاولات إسقاط القوى المستهدَفة، من بين أطراف السلطة، في الشارع ومعها تعطيل أو إسقاط المؤسّسات الرسمية السياسية والإدارية الأساسية، سعياً إلى خَلْق وقائع جديدة تخدم محصلّاتها على مستوى السلطة، بالدرجة الأولى، أهداف واشنطن وحليفها الأول العدو الصهيوني، بالإضافة إلى أهداف أتباعها المحلّيين والخليجيين.

قلّنا المعارضة معارضات. لا يعنينا منها، ههنا، تلك الأطراف التي هي شريك مزمن في النظام، وحتى في المنظومة، إلى الأمس القريب. تلك الأطراف، عموماً، أحزاباً وشخصيات ومواقع ومنظّمات مدنية وسياسية وإعلامية وسواها، التحقت بالخطّة الأميركية، وتبنّت أولوياتها وتوجهاتها في لبنان والمنطقة.

المعارضة، مادة حديثنا اليوم، هي تلك المجسّدة، موضوعيّاً، في الفئات الشعبية الواسعة التي عصفت بها الأزمة دون رحمة، ودفعت بها، عفويّاً، إلى الشارع للتعبير عن الاعتراض والاحتجاج والسخْط ومحاولة التصدّي للمسؤول عن الكارثة وعن تماديها إلى المستوى المخيف والمدمّر والوقح والمستخفّ، على النحو الذي ما زلنا نعاين ونعاني فصوله المتواصلة كل يوم. وعلى رغم كل ما حصل، لم تمتلك الفئات تلك، منذ اندلاع الأزمة قبل أكثر من ثلاث سنوات، أدوات تمثيليّة منظّمة وفاعلة للدفاع عن نفسها في وجه جموح النهب والعبث والاستباحة. يستوي في ذلك، إلى حدٍّ كبير، أولئك الذين ينتسبون إلى نقابات أو روابط أو جمعيات... أو لا ينتسبون! الهيئات التمثيليّة في الحقول كافّة، العمّالية والمهنية والتربوية وغيرها، تحوّلت إلى هياكل خاوية تديرها أو تهيمن عليها، بشكل مباشر أو غير مباشر، قوى السلطة نفسها ضمن خريطة انقسامات وتبعيّة وتداول تكرّر نهج وأساليب منظومة المحاصصة السلطوية نفسها: لجهة استخدام العصبيات الطائفية والمذهبية وسيلة للإمساك بالقرار ولتوزيع النفوذ وتقاسم المناسب والمغانم. غياب الهيئات التمثيليّة، أدّى إلى شيء من التلقائية العفوية، أو المنظّمة جزئياً، عبر منظمات أُعدّت أو أُعدَّ أعضاؤها مسبقاً من قِبَل جهات خارجية. في هذا السياق، تولّى أفراد من الطبقة الوسطى العليا (موظّفون متقاعدون ذوو رتب عليا غالباً، في الإدارة والجيش والجامعات والقضاء...) الواجهة والمواجهة: تحريضاً وتنظيماً وتحديداً للمواقف والمطالب والشعارات. وبرز في مجرى ذلك، أيضاً، مناضلون مخلصون دون خطة شاملة. برز كذلك «هواة صنف» وصيّادو فرص: بعضهم بدوافع سياسية أو إعلامية، وآخر بدوافع مالية ارتزاقيّة.

التجاوب الشعبي الكبير وشبه الشامل في الشارع، وردّ فعل السلطة التي بدت، في المراحل الأولى، متفاجئة ومضطربة وعاجزة عن استعادة المبادرة الاقتصادية والسياسية، أغرى أطرافاً تقليدية مناوئة للسلطة بركوب الموجة. وهو كذلك، حفّز قوى خارجية، بقيادة واشنطن، على استغلال النقمة وتوجيهها وتوظيفها في خدمة أجندتها الخاصّة على المستويَين المحلّي والإقليمي.

لم تتمكّن «المعارضة الشعبية» من أن تفرز قيادة وخطّة وأولويات، وبالتالي أن تفرز بديلاً للسلطة ولنظامها. كان ذلك يتطلّب إدراك أن في النظام، قبل السلطة، يكمن أساس الخلل والفشل، وبالتالي، العجز والنهب والفساد وعدم المحاسبة والطائفية والتبعية. فاقم من ذلك عدّة أمور: أولها، كما أشرنا، العفوية المشوبة بالشخصانية والتفرّد. ثانيها، الاستغلال الداخلي والخارجي، كما ورد آنفاً. أمّا ثالثها، فهو عجز قوى التغيير التقليدية عن أن تؤدي الدور المبادر في مسائل التوجيه والتوحيد البرنامجي (أولويات)، وفي خطط التحرّك المستدام المنظّم والهادف في مواجهة كارثة الانهيار والإفقار. ومناورات وأضاليل سلطة متمرّسة ومجرّبة في الخداع واستنفار العصبيات وتسخير كل موارد الدولة وكل أجهزتها ومؤسساتها خدمةً لمصالحها ولاستمرارية نظامها ومنظومتها. تصرّفت قوى التغيير الوطنية بما هو دون المستوى المطلوب من الانخراط والمبادَرة (خصوصاً)، ما حال دون تشكيل تيار موحّد وذي صدقية، وخصوصاً أن أكثرية تلك القوى ذات تاريخ عريق وخبرة متراكمة في حقول الاحتجاج والتنظيم وصياغة البرنامج وتحديد الأهداف والأولويات. بدت هذه القوى مراقِبة لا مبادرة، ومشتّتة لا موحّدة، وملتحقة (ولو جزئيّاً) لا مستقلّة وصانعة فرصة في مجرى الصراع المصيري. كان من المفترض أن تحاول تلك القوى التغييرية الوطنية أن تحضر بقوّة في قلْب التحرّك الشعبي لرعايته وتوجيهه وتوحيده على أولويات تتّصل بجوهر المشكلة: أي في الجمع ما بين كشف الخلل في النظام السياسي وإدانة الارتكابات الإجرامية واللصوصية التي أقدمت عليها قوى السلطة السياسية والمالية وغيرها.

إن إحجام تلك القوى عن القيام بدورها المطلوب والطبيعي، وخصوصاً، أيضاً، لجهة فضْح ورفْض التدخلات الخارجية المستغِلّة للانتفاضة والمشوِّهة لأهدافها، فوّت فرصة تاريخية مزدوجة: على هذه القوى نفسها، للخروج من أزمتها المتمادية، وعلى اللبنانيين لمحاولة الخروج من الكارثة والانهيار والفواجع المتفاقمة دون حدود.

الأزمة الطاحنة مستمرّة؛ وهي متفاقمة على نحو متواصل ومرعب. المسؤولون عنها يواصلون الاحتفاظ بسلطتهم ونظامهم. ويواصلون أيضاً استنزاف ما تبقّى من عافية وموارد الوطن والمواطن: بالنهب واللصوصية والعبث دون حسيب أو رقيب بعدما جدّدوا «شرعيتهم» في الانتخابات العامة في الربيع الماضي.

كذلك، فإنه باستمرار الأزمة، يستمرّ السعي الخارجي إلى إدامتها وتغذيتها واستغلالها بأقذر الوسائل ولأقذر الأهداف. وسيكون الهدف الوطني الكبير الذي من أجْله ينبغي توحيد المعارضة الشعبية والوطنية، محاسبة المسؤولين عن الانهيار والنهب واللصوصية ومعاقبتهم، وإبعاد الاستغلال الخارجي المشوّه للحقائق وللمسؤوليات، والموجَّه لخدمة مشروع الهيمنة الأميركية على المنطقة وتصفية إنجاز الشعب اللبناني الكبير المتمثّل في المقاومة ضدّ العدو الصهيوني.

* كاتب وسياسي لبناني

الحدث

تظاهرة كبرى اليوم رفضاً لـ«حُكم التلمود»
شبح «حرب الإخوة» يظلّل إسرائيل

يستعدّ عشرات الآف الإسرائيليين للخروج في تظاهرة حاشدة في تل أبيب اليوم، احتجاجاً على القوانين الجديدة التي تعتزم حكومة بنيامين نتنياهو إنفاذها، والتي لا تقتصر تداعياتها على الأضرار بالفلسطينيين فحسب، بل سيكون من شأنها المسّ بجميع اليهود غير المتديّنين أو العلمانيين. وإذ يجلّي ذلك انفتاح فصل جديد من فصول الصراع المستمرّ على هويّة دولة الاحتلال ومكانة التوراة فيها، فهو قد يكون فاتحة تنازع داخلي يتجاوز بحجمه وطبيعته كلّ ما شهدته إسرائيل سابقاً، وفق ما يؤشّر إليه مثلاً استحضار زعماء المعارضة وقائع «حرب الإخوة» من التاريخ، والردّ عليهم من قِبَل منظّري الموالاة بأنهم بكؤُنهم عديمي المسؤولية ومتنافسين على التحريض القومي

بيروت حمود

قد تُعيد الوقائع التاريخية إنتاج ذاتها، أو تتكرّر إلى ما لا نهاية في زمان أو مكان لا نهائيَّين، كما صوّرها فريدريك نيتشه في «العود الأبدي»، فيما كانت لماركس توين مقاربة مغايرة أفادت بأن «التاريخ قد لا يعيد نفسه ولكنه يتشابه كثيراً». وأمّا كارل ماركس، فقد ذهب أبعد من ذلك، بالقول: «يذكر هيغل في مكان ما أن جميع الحقائق والشخصيات ذات الأهمّية الكبرى في تاريخ العالم تُحدث كما لو أنها حدثت من قبل. نسي أن يضيف: في المرّة الأولى كمأساة، وفي المرّة الثانية كمهزلة». تَحضر مقولة «إعادة التاريخ نفسه» إلى الأذهان سريعاً لدى معاينة انشغال وزير الأمن الإسرائيلي السابق، بيني غانتس، هذه الأيام، باستعارة أو استعادة التاريخ، ونصْب فزّاعة «حرب الأخوة» التي هُزم فيها أسباط بني إسرائيل، بنيامين وسبطه، إثر اغتصاب أصحاب جبعة (التابعة لبنيامين)، زوجة الرجل اللاوي الذي اتّخذ قرْيتهم مأمناً للمبيت فيها. حربٌ أشار إليها «التناخ» (الكتاب المقدس) بوصْفها «الأشدّ قسوة»؛ إذ قُتل فيها، وفق سفر القضاة - الإصحاح العشرين، نحو 500 ألف يهودي.

هكذا، يحاول غانتس وقادة المعارضة، الذين حوّلوا في وقت قصير «حرب الإخوة» إلى المُصطلح الأكثر رواجاً في إسرائيل، إسقاط حادثة الاغتصاب تلك، على واقعة «اغتصاب وجه إسرائيل» المقنَّع بالديموقراطية، والمؤسّساتية، والتوازن والفصل بين السلطات المختلفة، وهو ما أثار غضب المُوالاة التي عدّت ذلك «مؤشّراً إضافياً إلى اجتياز المعارضة الخطوط الحمراء»، وفق توصيف بولشطاين. وشكّك بولشطاين، في مقال في صحيفة «معاريف»، في ما إن «كان غانتس نفسه قد ألقى بالاً للسخرية التي تلفّظ بها، في أقواله عديمة المسؤولية تلك»، معتبراً أن رئيس قائمة «همحنيه هممحلختي» (معسكر الدولة أو المملكة)، سَحق بقايا المملكة (الدولة) التي كان أملنا بأنها لا تزال موجودة». وأضاف أن «غانتس وبائير لابيد ووضيعين كثراً، من المتنافسين بين بعضهم البعض (ضمن معسكر المعارضة) على مَن يشغل مربّع التحريض القومي، ها هم: واحد يهدّد بالتمرّد، وآخر بزعزعة الجيش، وثالث يُخرج "الروح الشرّيرة" من القمقم مُهدّداً بالعنف الفعلي». وتابع: «يبدو أن غانتس ولابيد وأشباههم تفاجؤوا؛ فقد اعتقدوا أن اليمين بعبع فقط، وفجأة وجدوه حازماً في الوقوف على تعهّداته ووعوده. لعلّهم تقبّلوا خسارتهم لكراسي الجلد في المكاتب الحكومية، غير أنهم كانوا متأكّدين أنه باستثناء هوية الجالسين على هذه المقاعد، فلن يتغيّر أيّ شيء».

على أنه، خلافاً لحديث بولشطاين، يبدو أن الكثير سيتغيّر فعلاً. فـ«في المعسكر المؤمن، من رئيس الوزراء إلى أخفض السلم الحكومي وصولاً إلى أعضاء الكنيست من الصفّ نفسه، لا يكتفي هؤلاء بدفء الكراسي التي يجلسون عليها»، بل ثمة مخطّط يُدفع به وزير القضاء، ياريف لفين، إلى «تفجير» الصيغ القانونية الحسّاسة في المنظومة القضائية. ومثله يفعل وزير الأمن القومي، إيتمار بن غفير، الذي لا يتردّد في ملامسة «الفوالق»، مستعجلاً إحداث زلزال غير مسبوق في منظومة الأمن والشرطة. وكذلك الحال بالنسبة إلى رفيقه وزير المالية، بتسيلئيل سموتريتش، الذي استعرض، قبل يومين، خطّة القضاء على غلاء المعيشة الذي تسبّبت به الحكومة السابقة، ولتكتمل الصورة، ينضمّ إلى مكوّناتها المشهد المتشكّل في مكتب سكرتارية «الكنيست»،

> **الشرطة الإسرائيلية تتجهّز بالهراوات والخيول لقمع تظاهرة السبت في حال إثارة الشغب والعنف**

حيث بمجرّد إعلان تشكيل الحكومة، تكدّست اقتراحات مشاريع القوانين، فيما يتنافس أعضاء اليمين على الدفع بقوّة أكبر نحو تحقّق «المبادئ والقيم» التي يؤمن بها جمهورهم، مستندين إلى الاتّفاقيات الائتلافية المؤقّعة بين نتنياهو وشركائه، وعلى رأسهم حزبا «الصهيونية الدينية»، والتي ينبئ التدقيق فيها بأن قادة هذا التيّار عكفوا منذ زمن على صياغتها بطريقة احترافية، بما يصعّب على زعيم «الليكود» الالتفاف عليها أو التنصّل منها.

المفارقة أن هذه الاتفاقيات لا تقتصر تداعياتها على المسّ بالفلسطينيين الذين سيكونون المتضرّر الأكبر منها فحسب، بل وتُطاول أيضاً اليهود العلمانيين، من خلال شمولها تغييرات في النظام القضائي مع ما لهذا الأخير من مكانة رفيعة تجعله بمثابة «دستور» غير مكتوب، وأيضاً تعديلات على النظام التعليمي الذي سيتحوّل إلى منصّة لتعزيز الهويّة اليهودية الدينية عند الأجيال الناشئة حتى من غير اليهود المتديّنين أو أولئك المتفرّغين لدراسة الدين في «اليشيفوت»، وذلك من خلال إعادة تدريس مواد التاريخ الصهيوني والتوراة حتى ضمن الأنشطة اللامنهجية. وتُضاف إلى ما تقدّم تحوّلات ستُستحدث في نظام «الكشروت» المتعلّق بالأكل الحلال وفق الشريعة اليهودية، وآليات الفصل بين المُراقِب والمُراقَب على الطعام، فضلاً عن «إصلاحات» ستطرأ على قانون الهجرة اليهودية بما سيؤثّر على علاقة إسرائيل بيهود الشتات، وقوانين أخرى تستهدف قطاعاً واسعاً من جمهور المثليين (يحوز هؤلاء أربعة مقاعد برلمانية)، وثالثة تتّصل بأنظمة المواصلات العامّة وتطوير البنى التحتية والأشغال في السبت... وغيرها.

على هذه الخلفية، يتحضّر عشرات الآلاف الإسرائيليين للتظاهر غداً في ساحة «هميميا» في تل أبيب، فيما أعلن قادة المعارضة، وعلى رأسهم غانتس ويائير لابيد، عدم مشاركتهما في التظاهرة بناءً على طلب «مُنظّميها، حتى لا تأخذ طابعاً حزبياً، علماً أن جميع أعضاء حزبيهما سيشاركون فيها. ويحسب «الڤناة 14» الإسرائيلية، فإن الشرطة تتجهّز لقمع الفعالية بالهراوات والخيول في حال ترافقت مع أعمال شغب وعنف. وأشارت القناة إلى أنه على خلفية التهديد بالاضطرابات المدنية، فإن الشرطة لا تستخفّ بحجم التظاهرة، بل تستعدّ لنموذج مشابه للفعاليات اليسارية العنيفة التي شهدتْها فترات سابقة، كما تستعدّ لاحتمال «خروج المتظاهرين عن نطاق السيطرة». ولذا، وبخلاف الاحتجاجات السابقة، «هذه المرّة، سيكون المسؤول عن المنطقة هو قائد منطقة تل أبيب، وسيُنشر مئات من رجال الشرطة تحت قيادته».

في المقابل، وعلى الرغم من تعهّد نتنياهو بعدم المسّ بالديموقراطية، وبحسب «القناة 14» الإسرائيلية، فإن الشرطة تتجهّز لقمع الفعالية بالهراوات والخيول في حال ترافقت مع أعمال شغب وعنف. وأشارت القناة إلى أنه على خلفية التهديد بالاضطرابات المدنية، فإن الشرطة لا تستخفّ بحجم التظاهرة، بل تستعدّ لنموذج مشابه للفعاليات اليسارية العنيفة التي شهدتْها فترات سابقة، كما تستعدّ لاحتمال «خروج المتظاهرين عن نطاق السيطرة». ولذا، وبخلاف الاحتجاجات السابقة، «هذه المرّة، سيكون المسؤول عن المنطقة هو قائد منطقة تل أبيب، وسيُنشر مئات من رجال الشرطة تحت قيادته».

في المقابل، وعلى الرغم من تعهّد نتنياهو بعدم المسّ بالديموقراطية، وبحسب «القناة 14» الإسرائيلية، فإن الشرطة تتجهّز لقمع الفعالية بالهراوات والخيول في حال ترافقت مع أعمال شغب وعنف. وأشارت القناة إلى أنه على خلفية التهديد بالاضطرابات المدنية، فإن الشرطة لا تستخفّ بحجم التظاهرة، بل تستعدّ لنموذج مشابه للفعاليات اليسارية العنيفة التي شهدتْها فترات سابقة، كما تستعدّ لاحتمال «خروج المتظاهرين عن نطاق السيطرة». ولذا، وبخلاف الاحتجاجات السابقة، «هذه المرّة، سيكون المسؤول عن المنطقة هو قائد منطقة تل أبيب، وسيُنشر مئات من رجال الشرطة تحت قيادته».

في المقابل، وعلى الرغم من تعهّد نتنياهو بعدم المسّ بالديموقراطية، وبحسب «القناة 14» الإسرائيلية، فإن الشرطة تتجهّز لقمع الفعالية بالهراوات والخيول في حال ترافقت مع أعمال شغب وعنف. وأشارت القناة إلى أنه على خلفية التهديد بالاضطرابات المدنية، فإن الشرطة لا تستخفّ بحجم التظاهرة، بل تستعدّ لنموذج مشابه للفعاليات اليسارية العنيفة التي شهدتْها فترات سابقة، كما تستعدّ لاحتمال «خروج المتظاهرين عن نطاق السيطرة». ولذا، وبخلاف الاحتجاجات السابقة، «هذه المرّة، سيكون المسؤول عن المنطقة هو قائد منطقة تل أبيب، وسيُنشر مئات من رجال الشرطة تحت قيادته».

في المقابل، وعلى الرغم من تعهّد نتنياهو بعدم المسّ بالديموقراطية، وبحسب «القناة 14» الإسرائيلية، فإن الشرطة تتجهّز لقمع الفعالية بالهراوات والخيول في حال ترافقت مع أعمال شغب وعنف. وأشارت القناة إلى أنه على خلفية التهديد بالاضطرابات المدنية، فإن الشرطة لا تستخفّ بحجم التظاهرة، بل تستعدّ لنموذج مشابه للفعاليات اليسارية العنيفة التي شهدتْها فترات سابقة، كما تستعدّ لاحتمال «خروج المتظاهرين عن نطاق السيطرة». ولذا، وبخلاف الاحتجاجات السابقة، «هذه المرّة، سيكون المسؤول عن المنطقة هو قائد منطقة تل أبيب، وسيُنشر مئات من رجال الشرطة تحت قيادته».

الظروف الراهنة هي نتاج تداخُل حلقات المصالح والأيديولوجيات التي تحكم عقلية المعسكر اليميني (أ ف ب)

اليمن

بوادر تسهيل أميركيّ
الهدنة نحو التمديد الثالث

صنعاء ـ رشيد الحداد

مع الزيارة الثانية للوفد السلطاني العُماني إلى صنعاء، تَجدّد التفاؤل بإمكانية إعلان تمديد الهدنة السارية في اليمن لعدّة أشهر، خصوصاً في ظلّ زيارة متوقّعة للمبعوث الأممي، هانس غروندبرغ، إلى العاصمة اليمنية، حيث سيستكمل الترتيبات الخاصة بإعلان التمديد، ويبدأ العمل على تنسيق اجتماعات بين الفرقاء اليمنيين للاتّفاق على آلية صرف المرتّبات، وكذلك فتْح الطرقات العامّة. وأكّدت مصادر مطّلعة في صنعاء، تحدّثت إلى «الأخبار»، وجود «تقدّم كبير» في المفاوضات حول الملفّ الإنساني، من دون أن تُوضح معالم هذا التقدّم، فيما اكتفى رئيس «المجلس السياسي الأعلى»، مهدي المشاط، عقب لقائه الوفد العُماني، بالإشادة بدور السلطنة في «تحقيق السلام»، وتحميل ممثّليها مسؤولية الاهتمام بالملفّ المذكور باعتبار معالجته «الخطوة الأولى» نحو إنهاء الحرب. وبدا لافتاً، في خلال الزيارة الثانية، وجود لقاءات غير مدرَجة على جدول الأعمال وغير معلَنة، ما يشي بجدّية أكبر هذه المرّة، ولا سيما في ظلّ وجود وفد سعودي أيضاً في العاصمة اليمنية.

وتأتي هذه التطوّرات بعدما شهدت المناطق الخاضعة لسيطرة «أنصار الله»، يوم الجمعة الماضي، تظاهرات كبرى تحت شعار «الحصار حرب»، في ما قُرئ لدى التحالف السعودي، وأيضاً لدى الأميركيين، على أنه تفويض شعبي للحركة لاتّخاذ الإجراءات المناسبة في سبيل إنهاء الحصار. ومن هنا، تقدّر المصادر أن تكون تلك التظاهرات قد حفّزت «الراعي» الأميركي على تسهيل عملية تثبيت الهدنة بما يلبّي جانباً من الضمانات المطلوبة من قِبَل «أنصار الله»، والمتّصلة بالملفّ الإنساني، بعيداً عن مقتضيات الحلّ الشامل، والتي يَجري التفاوض حولها ثنائياً بين صنعاء والرياض، ولم تصل إلى الآن إلى خواتيمها، في ظلّ استمرار «الفيتو» الأميركي على مضيّ المملكة في تسوية نهائية. وجدّدت صنعاء، على لسان رئيس حكومتها عبد العزيز بن حبتور، شروطها لإحلال السلام الدائم، والمتمثّلة في «وقْف العدوان ورفْع الحصار بشكل كلّي، وتبادُل الأسرى والمعتقلين، وانسحاب كلّ القوات الأجنبية من كلّ الأراضي اليمنية، ودفْع التعويضات اللازمة عن الأضرار الاقتصادية التي طاولت البنية التحتية اليمنية، وعدم التدخّل في الشؤون الداخلية، واحترام سيادة البلاد». وشدّد ابن حبتور على أن القاعدة الرئيسية للانتقال نحو وقف إطلاق النار الشامل، تبدأ بصرف رواتب موظّفي الدولة، ومن ثمّ فتْح المنافذ البرّية والجوّية والبحرية.

> **صعّدت الحكومة الموالية لـ«التحالف» مطالباتها بكسر الحظر المفروض على تصدير النفط اليمني**

في المقابل، صعّدت الحكومة الموالية لـ«التحالف» مطالباتها بكسر الحظر المفروض على تصدير النفط اليمني من المحافظات الجنوبية، من جرّاء هجمات قوّات صنعاء الجوّية المتكرّرة على موانئ التصدير. وكثّف ممثّلو حكومة عدن طرْح ذلك المطلب في اللقاءات التي جمعتْهم خلال اليومين الماضيَين بعدد من السفراء الأجانب، وعلى رأسهم الأميركي في اليمن، ستيفن فاغن، والفرنسي جان ماري صفا، والبريطاني ريتشارد أوبنهايم. أيضاً، سُجّل دخول روسي على الخطّ من خلال لقاءات غير مدرَجة على جدول الأعمال وغير معلَنة، ما يشي بجدّية أكبر هذه المرّة، ولا سيما في ظلّ وجود وفد سعودي أيضاً في العاصمة اليمنية.

وتأتي هذه التطوّرات بعدما شهدت المناطق الخاضعة لسيطرة «أنصار الله»، يوم الجمعة الماضي، تظاهرات كبرى تحت شعار «الحصار حرب»، في ما قُرئ لدى التحالف السعودي، وأيضاً لدى الأميركيين، على أنه تفويض شعبي للحركة لاتّخاذ الإجراءات المناسبة في سبيل إنهاء الحصار. ومن هنا، تقدّر المصادر أن تكون تلك التظاهرات قد حفّزت «الراعي» الأميركي على تسهيل عملية تثبيت الهدنة بما يلبّي جانباً من الضمانات المطلوبة من قِبَل «أنصار الله»، والمتّصلة بالملفّ الإنساني، بعيداً عن مقتضيات الحلّ الشامل، والتي يَجري التفاوض حولها ثنائياً بين صنعاء والرياض، ولم تصل إلى الآن إلى خواتيمها، في ظلّ استمرار «الفيتو» الأميركي على مضيّ المملكة في تسوية نهائية. وجدّدت صنعاء، على لسان رئيس حكومتها عبد العزيز بن حبتور، شروطها لإحلال السلام الدائم، والمتمثّلة في «وقْف العدوان ورفْع الحصار بشكل كلّي، وتبادُل الأسرى والمعتقلين، وانسحاب كلّ القوات الأجنبية من كلّ الأراضي اليمنية، ودفْع التعويضات اللازمة عن الأضرار الاقتصادية التي طاولت البنية التحتية اليمنية، وعدم التدخّل في الشؤون الداخلية، واحترام سيادة البلاد». وشدّد ابن حبتور على أن القاعدة الرئيسية للانتقال نحو وقف إطلاق النار الشامل، تبدأ بصرف رواتب موظّفي الدولة، ومن ثمّ فتْح المنافذ البرّية والجوّية والبحرية.

في المقابل، صعّدت الحكومة الموالية لـ«التحالف» مطالباتها بكسر الحظر المفروض على تصدير النفط اليمني من المحافظات الجنوبية، من جرّاء هجمات قوّات صنعاء الجوّية المتكرّرة على موانئ التصدير. وكثّف ممثّلو حكومة عدن طرْح ذلك المطلب في اللقاءات التي جمعتْهم خلال اليومين الماضيَين بعدد من السفراء الأجانب، وعلى رأسهم الأميركي في اليمن، ستيفن فاغن، والفرنسي جان ماري صفا، والبريطاني ريتشارد أوبنهايم. أيضاً، سُجّل دخول روسي على الخطّ من خلال لقاءات غير مدرَجة على جدول الأعمال وغير معلَنة، ما يشي بجدّية أكبر هذه المرّة، ولا سيما في ظلّ وجود وفد سعودي أيضاً في العاصمة اليمنية.

وتأتي هذه التطوّرات بعدما شهدت المناطق الخاضعة لسيطرة «أنصار الله»، يوم الجمعة الماضي، تظاهرات كبرى تحت شعار «الحصار حرب»، في ما قُرئ لدى التحالف السعودي، وأيضاً لدى الأميركيين، على أنه تفويض شعبي للحركة لاتّخاذ الإجراءات المناسبة في سبيل إنهاء الحصار. ومن هنا، تقدّر المصادر أن تكون تلك التظاهرات قد حفّزت «الراعي» الأميركي على تسهيل عملية تثبيت الهدنة بما يلبّي جانباً من الضمانات المطلوبة من قِبَل «أنصار الله»، والمتّصلة بالملفّ الإنساني، بعيداً عن مقتضيات الحلّ الشامل، والتي يَجري التفاوض حولها ثنائياً بين صنعاء والرياض، ولم تصل إلى الآن إلى خواتيمها، في ظلّ استمرار «الفيتو» الأميركي على مضيّ المملكة في تسوية نهائية. وجدّدت صنعاء، على لسان رئيس حكومتها عبد العزيز بن حبتور، شروطها لإحلال السلام الدائم، والمتمثّلة في «وقْف العدوان ورفْع الحصار بشكل كلّي، وتبادُل الأسرى والمعتقلين، وانسحاب كلّ القوات الأجنبية من كلّ الأراضي اليمنية، ودفْع التعويضات اللازمة عن الأضرار الاقتصادية التي طاولت البنية التحتية اليمنية، وعدم التدخّل في الشؤون الداخلية، واحترام سيادة البلاد». وشدّد ابن حبتور على أن القاعدة الرئيسية للانتقال نحو وقف إطلاق النار الشامل، تبدأ بصرف رواتب موظّفي الدولة، ومن ثمّ فتْح المنافذ البرّية والجوّية والبحرية.

في المقابل، صعّدت الحكومة الموالية لـ«التحالف» مطالباتها بكسر الحظر المفروض على تصدير النفط اليمني من المحافظات الجنوبية، من جرّاء هجمات قوّات صنعاء الجوّية المتكرّرة على موانئ التصدير. وكثّف ممثّلو حكومة عدن طرْح ذلك المطلب في اللقاءات التي جمعتْهم خلال اليومين الماضيَين بعدد من السفراء الأجانب، وعلى رأسهم الأميركي في اليمن، ستيفن فاغن، والفرنسي جان ماري صفا، والبريطاني ريتشارد أوبنهايم. أيضاً، سُجّل دخول روسي على الخطّ من خلال لقاءات غير مدرَجة على جدول الأعمال وغير معلَنة، ما يشي بجدّية أكبر هذه المرّة، ولا سيما في ظلّ وجود وفد سعودي أيضاً في العاصمة اليمنية.

شهدت المناطق الخاضعة لسيطرة «أنصار الله»، يوم الجمعة الماضي، تظاهرات كبرى تحت شعار «الحصار حرب» (أ ف ب)

حكومة نتنياهو السادسة: «الحريديم» يجذّرون نفوذهم [3]

يحيى دبوق

قبل أيام من ولادة حكومة بنيامين نتنياهو السادسة، قُتلت مستوطِنة وجُرح آخرون في حيّ «مئة شعاريم» في القدس المحتلّة، نتيجة احتجاجات قادها المئات من «الحريديم» على اعتقال مشتبَه فيه في إحراق متجر للهواتف المحمولة، تجرّأ على بيْع هواتف غير شرعية. الاحتجاجات أدّت إلى إغلاق الطرق واشتعال النار في حاويات القمامة وأعمدة إشارات المرور والأصول العامة، إضافة إلى رشْق البَيات الشرطة وعناصرها، الذين تجرّؤوا بدورهم على دخول الحيّ «الحريدي» لوقف أعمال الشغب. وفي خلال ذلك، انحرف سائق حافلة تقلّ ركاباً من غير «الحريديم» عن مساره، ودخل خطأ المنطقة «الأرثوذكسية» المتطرّفة، لتأتي ردّة الفعل «الحريدية» عنيفة جدّاً، وتتعرّض الحافلة للرشق بالحجارة وثقْب إطاراتها وتحطيم زجاجها، قبل أن تتمكّن الشرطة من إبعاد المحتجّين.

الحادثة وما يماثلها من قبل ومن بعد، سواءً في الأحياء «الحريدية» الخالصة أو تلك المختلطة، تستبطن عدّة دلالات، أبرزها ما يلي: أوّلاً، أن مناطق «الحريديم» ممنوعة على غيرهم وإن كانوا يهوداً؛ وثانياً، أن هذه المناطق لها عاداتها وتقاليدها الموغلة جدّاً في التاريخ - إلى ما قبل ميلاد المسيح - والتي لا يُسمح بمُنافستها في «بيتها»؛ وثالثاً، أن رجال الأمن والشرطة يستصعبون الدخول إلى تلك الأماكن كونها مغلَقة نسبياً ولا تخضع للحوكمة كما هو الحال في خارجها؛ ورابعاً، أن دخول أيّ «مختلِف» إليها ولو كان يهودياً يعرّضه لخطر قد يصل إلى درجة القتل. هكذا، يَظهر المجتمع «الحريدي»، المنغلق على ذاته، كجيان داخل الكيان الأكبر، لا يندمج «أهله» بالثاني إلّا في ما يفيد تحصيل مصالحهم الخاصة، وهو ما سعت إليه أحزابهم من خلال قبولها الدخول في حكومة نتنياهو.

في العادة المتّبعة لدى تداول السلطة في دولة الاحتلال، تعكف مراكز الأبحاث المختصّة، والتي تُعدّ من بين الأهمّ والأكثر مهنية في العالم، على تشخيص التحدّيات الماثلة أمام الحكومة الجديدة، واقتراح الوسائل المناسبة للتعامل معها، بما يشمل تقليدياً إيران و«حزب الله» والساحة الفلسطينية (الضفة الغربية وقطاع غزة) والحلبة الإقليمية، فضلاً عن المخاطر الاقتصادية والعلاقات الخارجية والتغييرات في الإقليم وحول العالم. لكن أن ينضمّ الائتلاف الحاكم نفسه إلى تلك القائمة، كما هو الحال اليوم، ففي ذلك سابقة لا مثيل لها سواءً داخل إسرائيل أو خارجها. وفكمن التهديد في حكومة نتنياهو، هو أنها ضمّت توليفة من المتطرّفين والمتعصّبين والفاشيين الذين سعوا وما يزالون إلى فرْض جدول أعمالهم على الجمهور الإسرائيلي عامّة. وفي ما يتّصل بـ«الحريديم» تحديداً، فإنّ مطالب هؤلاء لم تَعُد مقتصرة على ما يحضّن تمايزهم عن بقيّة المجتمع، كالعطاءات المالية لمؤسّساتهم ودُورهم التعليمية ومعاهدهم الدينية، بل يسعون اليوم إلى فرْض الأحكام التوراتية على مختلف الشرائح المجتمعية.

> **خلال عقدَين أو ثلاثة سيُعادل عديد «الحريديم» ثُلث المجتمع الإسرائيلي اليهودي تقريباً**

قد يحاجج البعض بأن الجماعات «الحريدية» محدودة عددياً نسبةً إلى الجمهور الإسرائيلي الأكبر، وبالتالي يتعذّر عليها أن تشكّل تهديداً لـ«الدولة»؛ لكن الوضع اليوم مختلف عمّا كان عليه لدى نشوء الكيان عام 1948، عندما كان «الحريديم» أقلّية ضئيلة جدّاً، ومعدومي التأثير تقريباً. آنذاك، ثبّت ديفيد بن غوريون، رئيس الوزراء الإسرائيلي الأوّل، ما يسمّى «الوضع الراهن» مع تلك الجماعات، وعنوانه: عطاءات مالية واقتصادية لم تكن لتكلّف ميزانية الحكومة شيئاً كبيراً، وإعفاءً من الواجبات والالتزامات «الوطنية» بما فيها الخدمة العسكرية، لم يكن بدوره ليُحدث اختلالاً جسيماً. أمّا اليوم، فيَبلغ عدد «الحريديم» حوالى 1,280,000 نسمة، وهم لديهم أسرع معدّل نموّ في أيّ دولة حديثة (حوالى 4% سنوياً)، ويشكّلون 13,3% من سكّان الكيان. وبينما يُعدّ 60% منهم شباباً دون سنّ العشرين (تتدنّى هذه النسبة إلى 31% في عموم الجماعات الأخرى)، يصل معدّل الولادات لدى نسائهم إلى 6,5 ولد مقابل 2,5 لدى الآخرين، ما يعني أنه خلال عقدَين أو ثلاثة سيُعادل عديد «الحريديم» ثُلث المجتمع الإسرائيلي اليهودي تقريباً. وهؤلاء سيعيشون على حساب الثُّلثين الآخرَين من دون عمل أو إنتاج أو دور اقتصادي، بل ستتضاعف قدرتهم على الابتزاز وتعزيز استراتيجية «الأخذ بلا عطاء»، وهو ما يُعدّ في ذاته تهديداً وجودياً، لن تقوى إسرائيل على تحمّله.

أخيراً، رضخ نتنياهو لمطلب تمويل المؤسّسات التعليمية «الحريدية» التي يخلو منهاجها من الرياضيات والعلوم واللغات الأجنبية ومن كلّ «مواد الهرطقة»، ويتركّز اهتمامها على فضل الجيل الناشئ عن محطيه العلماني، الذي «يشوّش» على وعيه ويُحرفه. كما وافق رئيس الوزراء الجديد على إقامة مدينة «حريدية» جديدة، فضلاً عن مطالب أخرى تتعلّق بالنقل ويوم السبت ومنْع الحقوق عن اليهود الآخرين من غير الأرثوذكس والفَصْل بين الجنسين، وأيضاً القدرة على تجاوُز إجراءاتهم أيّ اعتراض قانوني أو دستوري عليها، وتسهيل إقرار ما أمكن من قوانين تمنع اندماجهم وتعايشهم مع الآخرين، مع زيادة في العطاءات المالية وفقاً لعدد أفراد الأسرة التي سيتصاعد نموّها العددي تَبعاً لذلك. وبالنتيجة، فإن ما قام به نتنياهو هو تعزيز التهديد «الحريدي»، ومنْح معالجته، بل وإرساء أسس متينة لعرقلة أيّ معالجة مستقبلية. وإذا أضيف ما تَقدّم إلى الاتفاقات الائتلافية الأخرى مع الفاشيين، يمكن القول إن الحكومة الحالية تمثّل تهديداً للكيان العبري لا يقلّ خطورة، بل ربّما يزيد، عن التهديدات التقليدية التي يُواجهها.

يظهر المجتمع «الحريدي»، المنغلق على ذاته، ككيان داخل الكيان الأكبر (أ ف ب)

تقرير

واشنطن تكثّف جهود العرقلة
تأنٍّ سوريّ في وجه أنقرة: الانسحاب أوّلاً

على عكس الاستعجال التركي لتحقيق قفزات سريعة في التقارب مع دمشق، تبدي الأخيرة تأنّياً واضحاً في هذا المسار راهنةً إيّاه بالحصول على خريطة طريق واضحة ومزمّنة تشمل، أوّلاً، سحْب أنقرة قوّاتها من الشمال السوري. يأتي ذلك في وقت بدأت فيه واشنطن حملة سياسية تهدف إلى عرقلة الانفتاح بين البلدَين، والتشويش على «المسار الروسي» للحلّ في سوريا، وهو ما سيتسبّب بإعادة تعقيد المشهد السياسي مرّة أخرى

علاء حلبي

في وقت أوحى فيه اللقاء الذي جمع بين وزيرَي دفاع سوريا وتركيا في العاصمة الروسية موسكو قبل نحو أسبوعَين، بأن طريق التطبيع بين البلدَين بات سالكاً، خصوصاً في ظلّ الحديث عن لقاء ثانٍ سيَجمع وزيرَي خارجيّتيهما، تُظهر ردّة الفعل السورية المتأنّية، والتحرّكات المكّوكية المرتقبة لمسؤولي «مسار أستانا» (روسيا وإيران وتركيا) خلال الأسبوع المقبل، وجود مطبّات عديدة في هذا الطريق، تتطلّب مزيداً من الوقت من أجل إزاحتها، ولا سيما بعد أن شمّرت واشنطن عن ساعديها، ودخلت على الخطّ، في محاولة لإفشال مسار التطبيع بين البلدَين. وشدّد الرئيس السوري، بشّار الأسد، في أوّل تعليق رسمي من أعلى مستوى في البلاد على هذه القضية، خلال استقباله الكسندر لافرنتييف، المبعوث الخاص للرئيس الروسي فلاديمير بوتين، في دمشق، على أن اللقاءات التي تُجرى مع أنقرة، بوساطة روسية، «يجب أن تُبنى على تنسيق وتخطيط مسبَق بين سوريا وروسيا من أجل الوصول إلى الأهداف والنتائج الملموسة التي نريدها من تلك اللقاءات، انطلاقاً من الثوابت والمبادئ الوطنية للدولة والشعب، المبنيّة على إنهاء الاحتلال ووقف دعم الإرهاب»، في ما يؤشّر إلى تمسّك دمشق بمطلبها الرئيس من أنقرة، والمتمثّل في خروج الجيش التركي من الشمال السوري، ووقْف دعم الفصائل المسلّحة.

وجاء حديث الرئيس السوري بعد ساعات من خروج تسريبات حول موقف دمشق من عقْد اجتماع بين وزيرَي خارجيتَي البلدَين، كانت أعلنت أنقرة تطلّعها إلى إتمامه منتصف الشهر الحالي، إذ أوضحت الحكومة السورية، على لسان مصدر رسمي رفيع المستوى، أن موعد اللقاء لم يُحدَّد بعد، بسبب رفض دمشق عقْده قبل تحديد الأهداف المرجوّة منه، وفي مقدّمتها انسحاب الجيش التركي من كامل الأراضي السورية، بالإضافة إلى رفضها استثماره في العملية الانتخابية التركية، والتي يشكّل الملفّ السوري أحد أبرز عناوينها الدعائية. وفي أعقاب هذا التوضيح، أعادت تركيا تقويم موقفها، ليَخرج وزير خارجيتها، مولود تشاووش أوغلو، بتصريحات جديدة تحدّث فيها عن إمكانية اجتماعه بنظيره السوري مطلع الشهر المقبل، وهو اجتماع قد تنضمّ إليه الإمارات، أو قد يُعقد على أراضيها، تبعاً للتطورات السياسية اللاحقة.

> **تشهد مناطق التماس في ريف إدلب تصعيداً متواصلاً جرّاء هجمات يشنّها مسلّحون يتبعون «هيئة تحرير الشام»**

في هذا الوقت، صعّدت واشنطن من حدّة تصريحاتها المُناهضة لمسارات التقارب مع دمشق، بما لا يستثني الانفتاح الإماراتي، وسط تهديد غير مباشر باستخدام قانون العقوبات الأميركية على سوريا (قانون قيصر) من أجل عرقلتها. ويأتي ذلك فيما من المنتظر أن يلتقي وزير الخارجية التركي، نظيره الأميركي أنتوني بلينكن، في واشنطن، لمناقشة قضايا عدّة على رأسها التطبيع مع دمشق. ويجيء هذا اللقاء بعد سلسلة اجتماعات أمنية ودبلوماسية أجراها مسؤولون من البلدَين خلال الشهر الماضي، طرحت خلالها واشنطن خطّة مضادة للخطة الروسية، تهدف إلى تثبيت «الإدارة الذاتية» الكردية، وفتْح قنوات تواصل بينها وبين أنقرة بشكل مباشر، بالإضافة إلى محاولة تحقيق إنعاش اقتصادي متوازٍ في مناطق «الذاتية» ومناطق سيطرة تركيا في الشمال السوري، بما يسهّل انفتاح بعضها على بعض. كذلك، سعى الأميركيون إلى إرساء توازن ميداني أكثر قبولاً لدى تركيا، عبر دعْم مكوّنات عربية، وإعادة إحياء فصائل عربية معارضة، من بينها «ثوار الرقة». وفي هذا الإطار، أكّدت مصادر ميدانية، لـ«الأخبار»، أن واشنطن قدّمت بالفعل أوّل دفعة من الأسلحة للفصيل المذكور، كما قدّمت دفعات مالية لقيادته، ونظّمت خطّة تدريبات لعناصره في مقرّ «الفرقة 17» في الرقة، والتي أعادت الولايات المتحدة التموضع فيها بعد نحو أربع سنوات من الانسحاب منها.

شدّد الأسد على أن اللقاءات التي تجري مع أنقرة يجب أن تُبنى على تنسيق وتخطيط مسبق بين سوريا وروسيا (أ ف ب)

ويسبق اللقاءَ التركي - الأميركي في واشنطن، لقاءً آخر يجمع وزيرَي خارجيتَي روسيا، سيرغي لافروف، وإيران حسين أمير عبد اللّهيان، في موسكو، في السابع عشر من الشهر الحالي، حيث يناقشان مجموعة من القضايا من بينها التقارب السوري – التركي، علماً أن الوزير الإيراني، الذي أعلن في وقت سابق ارتياح بلاده إلى خطوات الانفتاح بين أنقرة ودمشق، يزور الأخيرة اليوم السبت قادماً من بيروت.

ميدانياً، تشهد مناطق التماس في ريف إدلب تصعيداً متواصلاً جرّاء هجمات يشنّها مسلّحون يتبعون «هيئة تحرير الشام» (جبهة النصرة)، بعد إعلان زعيمها أبو محمد الجولاني رفضه التقارب السوري - التركي، وإشهار رغبته في تصدّر المشهد باستغلال موقف «الائتلاف» المُساوق لتركيا، والذي تعرّض رئيسه، سالم المسلط، أمس، للاعتداء بالضرب في مدينة أعزاز شمالي حلب، وطُرد منها. وأفادت مصادر ميدانية، «الأخبار»، بأن الجيش السوري تصدّى لسلسلة هجمات حاول مسلّحون تنفيذها، ما أدى إلى مقتل عدد من هؤلاء.

فرنسا

تحضيرات لموجة إضرابات
ماكرون يفتتح معركة «التقاعد»

أعدّت حكومة الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، مشروع قانون يستهدف إدخال «إصلاحات» على نظام الضمان الاجتماعي، تشمل رفع سنّ التقاعد من 62 إلى 64 عاماً بحلول عام 2030. «إصلاحات» سرعان ما قوبلت برفض أحزاب المعارضة والنقابات العمّالية، التي أعلنت تفعيل حالة الطوارئ لإسقاطها، ما من شأنه أن يُغرق البلاد في موجة واسعة من الإضرابات في مختلف القطاعات

لندن - سعيد محمد

بعد محاولة أولى فاشلة لتغيير نظام المعاشات التقاعدية في فرنسا قضى عليها وباء «كوفيد-19»، أعاد الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، فتْح الملفّ الشائك. فأعدّت رئيسة وزرائه، إليزابيث بورن، هذا الأسبوع، مشروع قانون سيُطرح قريباً على البرلمان، ينصّ على رفع سنّ التقاعد إلى 64 عاماً، وسيكون بمثابة اختبار حاسم لما يمكن الرئيس تحقيقه خلال فترة ولايته الثانية، ولا سيما في ظلّ تصاعد التوتّرات الاجتماعية نتيجة أزمة ارتفاع تكلفة المعيشة والزيادات المطردة في الأسعار. وبدا مشروع القانون أقلّ طموحاً من الوعود الانتخابية للرئيس الذي طالما تحدّث عن رفع سنّ التقاعد إلى 65 عاماً، إلّا أن الحكومة زادت، في المقابل، عدد سنوات الخدمة اللّازمة لحصول العامل على معاش تقاعدي كامل من 41 عاماً حالياً إلى 43. وتتضمّن المشروع أيضاً زيادة الحدّ الأدنى للمعاش التقاعدي إلى 1200 يورو شهرياً - مقارنةً بـ 900 يورو حالياً).

وبات الفرنسيون الذكور، مع هذا القانون، يتمتّعون قانونيّاً بتقاعد أبكر بعامَين من أقرانهم في دول الاتحاد الأوروبي (وبعام للنساء). لكنّ كثيرين يَرون أن لهم الحقّ في التقاعد في سنّ أبكر، كما أقرّ في عهد الرئيس (الاشتراكي) فرنسوا ميتران، في عام 1982، باعتبار ذلك مكوّناً أساسيّاً من العقد الاجتماعي للجمهورية. مع هذا، تشير الأرقام إلى أن نصف الفرنسيين فقط من الذين بلغوا الـ 62 (سنّ التقاعد الحالي)، ما زالوا في سوق العمل، ذلك أن الشركات الجشعة تفضّل استخدام الشبّان الأصغر سناً والأقلّ تكلفة.

في هذه الأثناء، دعت بورن، أحزاب المعارضة والنقابات العمّالية إلى تقبّل الحاجة إلى إصلاح نظام الضمان الاجتماعي الذي يُعتمد على مساهمة العاملين، وذلك بعدما ارتفع معدّل أعمار المواطنين الفرنسيين بما لا يقلّ عن ثماني سنوات خلال العقود الأخيرة، ما سيتسبّب بعجز ماليّ دائم خلال الأعوام الـ 25 المقبلة، وفق التقديرات المعتدلة. واستشهدت بورن بدول أوروبيّة أخرى رفعت من سنّ التقاعد لديها على نحو ساعد في ضمان مستقبل الأجيال القادمة. ومنذ انتخابه رئيساً، مثّلت مسألة الضمان الاجتماعي للمتقاعدين الحجر الأساس في أجندة ماكرون الداخلية، إذ عن وجدّد، العام الماضي، تعهّداته في شأن «إصلاحه»، وذلك في خضمّ حملته الانتخابية للحصول على ولاية ثانية، على الرغم من أن ذلك كلّفه وحزبه أصواتاً، وساهم في خسارته الغالبية البرلمانية التي كان حزبه الليبرالي التوجّهات يهيمن عليها، خلال فترة رئاسته الأولى.

وتدفع مصالح الأعمال، كما بيروقراطيو الاتحاد الأوروبي في بروكسل، في اتجاه رفْع سنّ التقاعد للفرنسيين، باعتباره واحدة من أهمّ أدوات سدّ العجز في الميزانيات العامّة، وفرْض نوع من الانضباط المالي في الجمهورية التي تتعرّض فيها دولة الرفاهيّة الموروثة من أيّام الإمبراطورية لضغوط غير مسبوقة. ومن دون تقليل الإنفاق على معاشات التقاعد، فإن ذلك قد يعني أن فرنسا ستخالف قواعد سقف الدين العام المسموح به في دول الاتحاد الأوروبي. ويقول تقرير لخبراء حكوميين، إن عدم تنفيذ تغييرات على نظام المعاشات الحالي سيؤدّي إلى تكريس حالة عجز سنوي في الناتج المحلي الإجمالي، قد تصل إلى ما يقرب من 1% على مدى النصف الثاني من القرن الحالي، ما لم يطرأ تحوّل نوعي في إنتاجيّة الفرنسيين، وهو أمر مستبعد بالطبع؛ أو يصار إلى زيادة الضرائب، وهذه سياسة غير واقعيّة بحكم أن فرنسا بالفعل واحدة من أعلى الدول الأوروبيّة لناحية نسبة الضرائب المحصّلة من الناتج المحلّي الإجمالي، وتعارضها بشدّة مصالح الأعمال البورجوازية والشركات الكبرى، أو تنتهي الحكومة إلى توسيع مساحة الدين العام الذي يتجاوز حالياً 113% من الناتج الإجمالي. ويتوقّع الخبراء أن تحقّق خطّة ماكرون، حال اعتمادها، دخلاً إضافياً سنويّاً للنظام التقاعدي، يُقدَّر بنحو 18 مليار يورو بحلول عام 2030، ومن شأنه أن يقضي على عجْز متوقّع - حال عدم إقراره - قد يصل إلى 14 مليار يورو.

وسيتعيّن على الحكومة، الآن، لإمرار القانون في البرلمان، الحصول على دعْم 62 نائباً من «كتلة الجمهوريين» - يمين محافظ -، بالنظر إلى أنّها لا تمتلك غالبيّة تؤهّلها التشريع منفردة. ويشغل تحالف ماكرون الوسطي 251 مقعداً فقط، أي أقلّ من عتبة الـ 289 مقعداً اللازمة لإمرار القوانين. على أنّ عدداً من نواب «الكتلة الجمهورية» أشاروا إلى انفتاحهم على فكرة دعْم مشروع الحكومة، في مقابل تحقيق بعض المطالب. وترفض غالبيّة الفرنسيين مبدأ إجراء تعديلات على النظام التقاعدي، وترى مشروع ماكرون بمثابة محاولة للانتقاص من مكتسباتها الشخصيّة. وبحسب استطلاعات الرأي الأحدث، فإن أكثر من ثلثي الجمهور يعارض ذلك.

وفي البرلمان، فإن كتلة المعارضة العريضة، التي تضمّ نواب عددٍ من الأحزاب اليسارية، إضافة إلى «حزب التجمّع الوطني» اليميني المتطرّف بزعامة مارين لوبن، تعارض بشدّة توجّه ماكرون، الذي انتقده قادتها من اليسار واليمين، وتعهّدوا بعرقلته، لكنّهم، من دون «الكتلة الجمهورية»، سيكونون مجرّد شهود على إقرار مشروع القانون. وبحسب مصادر المعارضة، فإن التعديلات المقترحة تحابي فئات على حساب العمّال ذوي الياقات الزرقاء والذين غالباً ما يبدأون وظائفهم في وقت مبكر، وسيضطرّون إلى العمل لسنوات أكثر من نظرائهم ذوي الياقات البيضاء.

وفي الشارع، تخطّط النقابات العمّالية لإطلاق موجة احتجاجات متدرجة ضدّ المشروع على مستوى البلاد، بدأ أوّلها السبت الماضي. وحذّر قائد نقابيّ بارز، الحكومة، في وقت سابق من هذا الأسبوع، من أن النقابات مستعدّة لإغلاق الاقتصاد الفرنسي بالكامل إن تطلّب الأمر. ونقلت الصحف عن فريديريك سويو، رئيس نقابة «فورس أوفريير» اليسارية المتطرّفة، قوله: «إذا كان هذا المشروع لإيمانويل ماكرون أمّ كل الإصلاحات، فهو بالنسبة إلينا أمّ كل المعارك».

ويخشى مراقبون من تحوّل الاحتجاجات النقابية إلى أعمال شغب وفوضى في الشوارع، في وقت تتراكم فيه مشاعر الغضب في قلوب الكتلة الأكبر من المواطنين الفرنسيين، بعد تدهور أحوالهم المعيشية منذ بداية الحرب في أوكرانيا، وما ترتّب عليها من تضخّم وركود وأزمة طاقة.

دعت بورن، أحزاب المعارضة والنقابات العمّالية إلى تقبّل الحاجة إلى إصلاح نظام الضمان الاجتماعي (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 4219

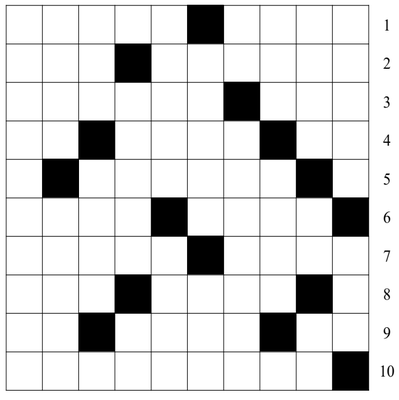

أفقيا

1- عاصمة أوروبية – من رجال الأمن – 2- من الأزهار – أبو البشرية – 3- تهذيب – لقب غاندي – 4- جوهر – أوقات مستقبلية – للإستفهام – 5- من الحيوانات – 6- ضعف وحقارة – دولة أفريقية – 7- من مشاهير المغنين في العهد العباسي – كؤوس – 8- خلاف رخيص الثمن – ابتهج واغتبط – 9- يجري في العروق – أسد متبختر – أول طالب – 10- استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة بفهم واجتهاد واستنتاج

عمودياً

1- خلاف نقصان – من عوامل الطبيعة في الشتاء – 2- ترك المكان – نفخ الريح – اسم موصول – 3- فشل – آلة موسيقية – 4- أغلظ أوتار العود – إحدى الولايات المتحدة الأميركية – 5- يرميان الشراب من الفم – من أخوات كان – 6- مجاري المياه – غايات الجمال – 7- مدينة سورية – عمر – 8- زمن بالأجنبية – أولاده – 9- سدّه بالتراب – مدينة سياحية في شبه جزيرة القرم – 10- زعيم سياسي لبناني راحل

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- جيروت – الصل – 2- وخم – لامولي – 3- روتشيلد – دل – 4- جر – بني – الى – 5- آر – ميس – 6- اهدوه – ستار – 7- رحاب – وفا – 8- شاي – يوهن – 9- او – بدر – يم – 10- ليشتنشتاين

عمودياً

1- جورج مارشال – 2- بخور – ا و ي – 3- رمت – أدري – 4- شبروح – بت – 5- تلين – هايدن – 6- اليم – بورش – 7- أمد – يس – 8- لو – استونيا – 9- صندل – اف – مي – 10- ليلى مراد

sudoku 4219

2		6	5	3	7	1		
	3						5	
			8	9	2			
3	1				9		6	2
		8		2				
9			3					5
5								3
	9		2	7	3		8	
7	8		9					6

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4218

9	5	7	6	4	3	2	8	1
4	8	1	5	9	2	6	3	7
2	6	3	1	8	7	9	5	4
3	1	8	2	7	9	5	4	6
5	4	2	3	6	8	7	1	9
6	7	9	4	1	5	3	2	8
7	9	5	8	3	1	4	6	2
1	2	4	7	5	6	8	9	3
8	3	6	9	2	4	1	7	5

مشاهير 4219

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

رئيس الشرطة السرية الروسية (1895-1940) زمن ستالين. قام بأعمال تطهير واسعة

3+5+4+10+1+8+6 = مدينة المانية ■ 11+2+1+7+2+6 = عاصمة النمسا

■ 9+10 = فضاء

إعداد
نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: **يوسف السباعي**

وفيات

رئيس مجلس النواب
أعضاء مجلس النواب
ينعون بمزيد من الأسى زميلهم المأسوف عليه
دولة الرئيس السيد حسين الحسيني
المنتقل إلى رحمة الله تعالى الأربعاء الواقع فيه 11 كانون الثاني 2023.

القنصل الفخري لجمهورية مولدوفا في لبنان إلياس شفيق سعد وعائلته
يشكرون جميع من واساهم في مصابهم الأليم بوفاة زوجته المرحومة
سيمون عادل مكرزل
سواء بالحضور شخصياً لتقديم العزاء أو بإرسالهم برقيات أو موفودين أو آكاليل.
ويخصّون بالشكر أصحاب المعالي والسعادة الوزراء والنواب الحاليين والسابقين والسادة السفراء والقناصل وقائد الجيش اللبناني والمدير العام لأمن الدولة بالحضور الشخصي والمدير العام لقوى الأمن الداخلي بإيفاد مندوب عنه وكافة القيادات العسكرية والأمنية.
كما يخصّون بالشكر الجزيل غبطة البطريرك الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي بطريرك أنطاكية وسائر أنحاء المشرق، وكل السلطات الروحية والسلطات الرسمية، والفعاليات الاقتصادية ورؤساء وأعضاء البلديات والمخاتير وذلك بحضورهم الشخصي أو بإيفاد مندوبين عنهم.
تتوجّه عائلة الفقيدة بأصدق وأسمى آيات الشكر والتقدير لجميع من واساها بمصابها الجلل، مقدّرين لكل الأهل والأصدقاء والأحباء نبل عاطفتهم وطيب مواساتهم.
راجين من الله أن يمنّ عليهم بالصحة والعمر الطويل وأن لا يصيبهم أيّ مكروه.

إعلانات رسمية

إعلان
من أمانة السجل العقاري في بيروت
طلبت لينا سامي العريضي لموكلتها رجاء محمود المشنوق (سورية) سند تمليك بدل عن ضائع للقسم 22 من العقار 2031 مصيطبة.
للمعترض مراجعة الأمانة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بيروت
جويس عقل

إعلان قضائي
تعلن المحكمة المذهبية الدرزية في عاليه – الدرجة الأولى عن وجود دعوى طلاق مقدمة من المستدعيه ديالا نزيه عقل بوجه المدعى عليه رائد ذوقان الجوهري المجهول محل الإقامة ومسجلة برقم الأساس 2022/1122 بتاريخ 2022/11/31 فعلى المدعى عليه الحضور إلى المحكمة لإبلاغه استحضار الدعوى والأوراق أو من يمثله قانوناً خلال مهلة عشرين يوماً من تاريخ النشر وإلا يتم إبلاغه وفقاً لنص المادة 155 أ.م.ش.
رئيس قلم المحكمة الدرزية في عاليه
ناصيف مصلح

البلاد

ملف | اجراها علي عاشور

عرّفت العالم إلى النضال الفلسطيني بعمليات نُفّذت في السماء، وعلّمت الجماهير العربية كيف تحلّق بأفكارها وأحلامها ومشاعرها وتحط في فلسطين: المناضلة الفلسطينية ليلى خالد، عضو المكتب السياسي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. تعود بنا ليلى إلى نضالات المرأة الفلسطينية الأولى بموجزٍ تاريخيٍّ توكّد من خلاله امتداد هذا النضال الذي ظلمه المؤرّخون. فمن اللبنات الأولى لمسيرة نضال المرأة الفلسطينية إلى علاقاتها مع النساء العربيات ودورهن في دعم فلسطين، مروراً بالنسوية وجدالاتها، حتى تختم برسالة إلى أمّهات الشهداء الفلسطينيات. حوار مع أيقونة التحرّر الفلسطينية

ليلى خالد
إلى أمّهات الشهداء
أحني رأسي

■ كيف بدأ تاريخ نضال المرأة الفلسطينية؟

المرأة الفلسطينية هي جزء من هذا الشعب. لكن يا للأسف لم يسلط المؤرّخون الضوء على هذا الموضوع بما يكفي. فقط في الثورة المعاصرة أصبح دور المرأة ملحوظاً. فبعد وعد بلفور عام 1917 تحرّكت النساء الفلسطينيات حتى وصلن إلى عقد مؤتمر شكّلته مئة امرأة في حيفا عام 1921. هذا العام يؤرّخ لتنظيم المرأة داخل فلسطين، فقد حملت المرأة على عاتقها مسائل دعم العائلات ورعايتها، ومحاولة منع الصهاينة من الاستيلاء على الأرض. كان هذا المؤتمر يدعو إلى حماية الأرض من الاستيطان، وقد باعت النساء حليْهن لشراء الأراضي كي لا يتم أخذها من قبل الصهاينة، هذه ملحوظة مهمة في نضال المرأة في تلك الفترة. ثم في عام 1936 بدأ هذا الاتحاد النسائي إلى الإضراب العام، وتجاوبت مع هذه الدعوة كل فلسطين، كما لعبت النساء دوراً مهماً في شراء السلاح وإيصاله إلى المقاومين، لهذا أقول لم ينصف المؤرّخون دور المرأة الفلسطينية في تلك المراحل. نحن لسنا أول النساء اللاتي دخلن أو انتسبنَ إلى ثورتنا منذ عام 1967، فهناك من سبقنا في عام 1936 مثل فاطمة غزال وحلوة زيدان في عام 1948. ولا ننسى الأسيرات اللواتي واجهن الاحتلال وصمدن داخل سجونه مثل فاطمة برناوي ومريم الشخشير ورسمية عودة وعائشة عودة وغيرهن ممن لا يسع المجال لذكرهن جميعاً. استشهدت مئات النساء على هذا الطريق، ولا تزال المرأة الفلسطينية تناضل وتُعتقل في السجون الصهيونية، هؤلاء النسوة اللاتي ناضلن بكل شيء هنّ مثلنا الأعلى. جاءت النكبة عام 1948 وحوّلت معها دور المرأة الفلسطينية لكونها أصبحت لاجئة في مخيمات الشتات. المرأة حمت العائلة من التشتت، حتى وهي تسكن في خيمة لأن الرجل كان عليه إيجاد وسيلة للمعيشة، لم يكن مسموحاً للفلسطينيين بالعمل حتى تشكّلت وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا»، في سوريا مثلاً أعتُبر اللاجئون الفلسطينيون مواطنين باستثناء حصولهم على الجنسية السورية، فلهم حقوق التعليم والصحة والعمل، كان أصعب مكان للاجئ الفلسطيني هو لبنان بالرغم من أن اللبنانيين – وأخص أهل الجنوب – فتحوا بيوتهم لاستضافة الفلسطينيين الذين هُجروا.

كانت المرأة الفلسطينية لا تملك شيئاً في ذاك الوقت، وكان لافتاً للنظر أنّ الرجال والنساء اتجهوا بأولادهم إلى التعليم، قبل النكبة كانت نساء العوائل الميسورة من يتعلمن، لكن بعد النكبة كان هناك قرار جماعي بإرسال الأولاد إلى المدارس دون أن يخبر الناس بعضهم بعضاً، ذهبت المرأة الفلسطينية إلى التعلّم بهدف تحصيل شهادة ومساعدة إعالة العائلة في المستقبل، وهذا كان وعياً جماعياً خلّقته تلك اللحظة، وكانت عائلتي من ضمنها، أرسلتني عائلتي إلى مدرسة كانت خيمة، نصبوها، وقالوا لنا هذه مدرسة. وكانت تضم أربعة صفوف. كان هناك إصرار على تعليم البنات، وهذه مسألة من المهم النظر إليها، خصوصاً في كيفية تغيير المجتمع الفلسطيني لعاداته ليتأقلم مع واقعه الجديد.

عندما انطلقت الثورة الفلسطينية كان هناك وعي سياسي موجود في المجتمع. وعندما تأسّست حركة القوميين العرب، التي بدأت كحركة سرية، وضمّت في صفوفها المتعلمين الذين أسّسوها مثل الدكاترة الحكيم جورج حبش ووديع حداد وأحمد الخطيب من الكويت، إضافةً إلى أبو ماهر اليماني وهاني الهندي، وغيرهم من الرفاق الذين التحقوا في الحركة في ما بعد، انضمت النساء إلى الحركة بسبب ما رأينه من شعارات وبرنامج سياسي، أي النضال من أجل استعادة الوطن وحق اللاجئين في العودة. لقد حددت الحركة أنّ الهدف الرئيسي هو تحرير فلسطين، لذلك عمّت المنطقة العربية.

كانت هناك أحزاب وحركات يسارية أخرى مثل الأحزاب الشيوعية العربية وحزب البعث، لكن لم تقدّم مشاريع بنفس زخم ما طرحته حركة القوميين العرب التي ضمّت في صفوفها الفقراء وأهالي المخيمات والنساء اللاتي لعبن دوراً هاماً سواء كان في الداخل الفلسطيني أو الخارج، كان هناك إقبال ملحوظ في انتساب المرأة الفلسطينية إلى هذه الحركة لأنّها وعدتها بالعودة الى فلسطين وتحرير كل الأرض، لذلك كانت المرأة الفلسطينية متشوّقة للانضمام إلى تنظيم يحرر بلادها، لكن مع الأسف جاءت سنة 1967 لتضرب كل الأحزاب والأنظمة بكل برامجها، بالتالي بدأ دور المرأة بالخفوت تدريجيّاً، فعند كل هزيمة تتراجع المرأة؛ لكن مع كل مناخ ثوري تندفع إلى الأمام.

حينها ضمّت الثورة في صفوفها الكثير من النساء اللاتي لعبن دوراً محورياً، أذكر مثلاً الرفيقة وداد قمري التي رحلت قبل أشهر عن عالمنا، عندما اعتُقل الرفاق الشباب في السجون الإسرائيلية، أخذت هذه المناضلة على عاتقها قيادة العمل، وبدأت مباشرة بتنظيم خلايا عسكرية. كانت وداد مدرّسة من القدس.

■ ماذا عن دورها في المجلس الوطني الفلسطيني؟

كانت المرأة الفلسطينية جزءاً لا يتجزّأ من المجلس الوطني الفلسطيني، من أول اجتماع له، وكانت الاتحادات القاعدة التي تشكّل منظمة التحرير، ومن ضمنها كان اتحاد المرأة الفلسطينية، كان النساء بمثابة برلمانيات في المجلس الوطني الفلسطيني، فتمكّنت المرأة من الوصول إلى حد أن تكون عضواً في المجلس الوطني، ولكن ليس في اللجنة التنفيذية. وهذا نوع من الإجحاف لدور المرأة الفلسطينية وأهميته، فقد رأينا جميعاً كم سجن من الفلسطينيات في السجون الإسرائيلية منذ بداية الاحتلال، وكانت أول شهيدة بعد النكسة في الثورة الفلسطينية، وليس فقط في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، هي شادية أبو غزالة.

■ كيف أثّرت النكسة على دور المرأة المناضلة؟

في تلك الفترة كانت المرأة الفلسطينية تواجه ظلمين: ظلم النظام الأردني وظلم الاحتلال، على الرغم من ذلك استمرت مع الثورة لأنّها أعطتها إمكانية العمل على التحرير، لكن لم تتبوّأ المرأة مكاناً قيادياً في الهيكل التنظيمي يعطيها إمكانية صنع القرار.

تطورت الأحداث بعد النكسة وازداد الخناق والهجوم على الثورة الفلسطينية من كل حدب وصوب. مثال ذلك أيلول الأسود سنة 1970 إذ تعرضت المقاومة بكل فصائلها إلى الهجوم من السلطة الأردنية، وهذا ما دفع المقاومة التي كانت قواعدها على الحدود الفلسطينية للخروج من الأردن. في هذه الأحداث لم تكتفِ المرأة بحماية العائلة فقط، بل التحقت النساء بمراكز التدريب، كما عملت على مهام عديدة ومتنوعة في داخل فلسطين، مثلاً كان الدور الأهم هو تعبئة النساء لمواجهة المحتل بكل الوسائل المتاحة، وهناك تجارب نسائية عظيمة سُجّلت تاريخاً مشرّفاً في غزة في مجموعة غبغاب غزة، وفي الجبهة الشعبية كانت هناك مجموعة من النساء في المواجهة المباشرة مع العدو، وعلينا أن نذكر ذلك والحديث عنه بكل فخرٍ واعتزاز.

عندما خرجت المقاومة الفلسطينية من لبنان عام 1982 بات على المرأة الفلسطينية أن تواجه المجتمع كما تواجه المحتل، فنحن في مجتمعات محافظة، ما جعل واقعها يزداد صعوبة. لكن عندما جاءت الانتفاضة التاريخية عام 1987 كسرت معها الكثير من التقاليد والعادات البالية ليكون وجه الانتفاضة الأطفال وأمهاتهم. كانت النساء في مقدمة التظاهرات لمواجهة جنود الاحتلال، هذا أعطى الفلسطينيات المزيد من القوة، لذا في سنة 1988 في المجلس الوطني الفلسطيني الذي عُقد في الجزائر أعلنت وثيقة الاستقلال. وهذه الوثيقة سجلت في ما سجلت أن المرأة الفلسطينية هي حارسة نارنا، ومتساوية مع الرجل في النضال حتى تتحرّر الأرض، هذا اعتراف بدور المرأة الفلسطينية المحوري، لكن للأسف الشديد ما حدث في ما بعد كان كارثياً، بينما كانت الانتفاضة مشتعلة في الداخل وكان الخارج يساند هذه الانتفاضة وعنفوانها، هناك من قرر الذهاب إلى أوسلو وتوجيه منظمة التحرير إلى مسار التفاوض الذي أضرّ في الكيانات الفلسطينية جميعها، وبالتالي بالمرأة الفلسطينية بشكل كبير جداً.

■ كيف صمدت النساء بعد خروج المقاتلين من بيروت عام 1982؟

لم يخرج المقاومون جميعاً. نعم تعرضت المخيمات للمجازر، رغم ذلك ظلّوا هنا، في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كان هناك قرار ينص على عدم خروج ممن هم من سكان لبنان، الجبهة اختارت الخروج إلى سوريا، لكن بقي الكثير من الرفاق في لبنان، هناك عمليات مشتركة نُفّذت منا ومن اللبنانيين، كنا جزءاً من حركة جمول، لكننا لم نعلن عن وجودنا، كنا نعلن عن الرفاق والمعتقلين والشهداء باسم الحركة الوطنية اللبنانية، هذا هو الاتفاق بيننا وبين من بقي في لبنان مع الحركة الوطنية، وحتى الآن لا نزال موجودين، لكن المشكلة التي نواجهها حالياً هي مسألة الهجرة.

■ هل يمكننا القول إن أمهاتنا في المخيمات مناضلات مجهولات؟

لا أحب أن أقول مجهولات، لكن هذا هو الواقع، مع الأسف الشديد لم يُسلط الضوء على شجاعتهن وصبرهن وصمودهن، عند التشتت والتشرد عملت المرأة دور الحامي الأول للعائلة في الخيمة، رغم أنّها لاجئة، لم ينصف التاريخ هذه المرأة التي تحمّلت أعباء التشرد والظلم، فهي انتصرت لشعبها من خلال حفاظها على عائلتها.

■ عودةً إلى مسألة الهجرة، ومع انتشار الحركات النسوية وأفكارها حول العالم، هل يمكننا اليوم إنتاج خطاب أو رؤية نسوية عربية من جوهر صراع ونضال المرأة الفلسطينية؟

كاتحاد للمرأة الفلسطينية كنّا نمثّل منظمة التحرير في المؤتمرات الدولية، وكان هناك أيضاً الاتحاد النسائي العربي، وكان مقرّه في القاهرة، انقسم الأخير عندما زار السادات الكنيست وخرجنا من القاهرة، وتوقّف العمل عليه، وفي ما بعد كانت هناك عدّة محاولات لإعادة تشكيله.

كان لنا كفلسطينيات علاقات مع كل الاتحادات النسائية العربية، في انتفاضة 1987 كانت الاتحادات النسائية العربية تقدم لنا الدعم، من المحيط إلى الخليج، لم ينقطع الدعم عنا سواء في فترة الثورة أو في فترة الانتفاضة وما بعدها، نحن جزء واحد لا يتجزّأ من المجتمع العربي، ولسنا بمعزل عن أخواتنا العربيات.

لذا أن ننسى كل التجارب التي خضناها في الوقت الذي يشتعل فيه الصراع، نتوقّف لنتعلم من الغرب ماذا يعني النضال وماذا يعني التحرّر؟! كانت رفيقاتنا في السجون يتعرضن إلى كل أنواع الاعتداء والترهيب والتعذيب، فكيف نفصل هذا الدور العظيم في المواجهة والتحرر ونتوجه إلى حصر نضال وتحرر المرأة العربية في مسألة الجسد، فتحرر المرأة لا يمكن أن يكون معزولاً عن تحرر الشعب، ولا يمكن لمجتمع أن يتحرر من دون تحرّر نصفه الأنثوي.

استصرخ المرأة الفلسطينية مع الثورة لأنها اعطتها إمكانية العمل على التحرير

المرأة الفلسطينية هي جزء من هذا الشعب. لكن يا للأسف لم يسلّط المؤرّخون الضوء على هذا الموضوع بما يكفي. فقط في الثورة المعاصرة أصبح دور المرأة ملحوظاً

كان لنا كفلسطينيات تأثير كبير على النساء في العالم العربي، وشهدنا هذا في لبنان في العملية البطولية لنساء محيدلي ابنة السبعة عشر ربيعاً، وسهى بشارة مثال بارز آخر. وما زال هذا التأثير حاضراً اليوم.

■ كيف يمكن للنساء العربيات غير الفلسطينيات دعم النضال الفلسطيني اليوم؟

ليس غريباً على النساء العربيات أن يدعمن النضال ومعرفة كيفية الدعم، لكن جاءت أحداث مختلفة في كل بلد، ما أحدث شرخاً هنا وهناك، فالعراق احتُل، وسوريا تتعرض لهجوم كوني، وليبيا دُمرت، واليمن اليوم يعيش عدواناً مرعباً... المرأة اليمنية مناضلة منذ زمن الاحتلال البريطاني حتى الآن، في متابعتنا للأحداث الراهنة نرى المرأة اليمنية لا تزال تقوم بدور مهم وكبير جداً، رغم أننا لم نرَ المرأة اليمنية تحمل السلاح، لكننا رأينا تواجد النساء الكبير في نصرة الشعب الفلسطيني في التظاهرات الضخمة التي خرجت في اليمن.

■ ما رأيك بالموجة النسوية الحديثة في العالم العربي؟

بشكل عام، النساء منقسمات إلى قسمين: هناك المرأة الليبرالية التي ترجع بفكرها إلى الإيديولوجيا الليبرالية التي تتكئ على الأفكار والقضايا الغربية، وهناك نساء ينتمين ويتوجهن إلى أفكار وأحزاب يسارية وتقدمية تعالج قضايا المجتمع ولا تكتفي بمسألة الحقوق. التوجهات التي تميل إلى النموذج الغربي هي نتاج الدعاية والإعلام الغربيين لاختراق ثقافتنا، وأنا أعتقد أن ثقافتنا العربية هي المتراس الذي نحتمي به، لأنها تحمل في جوهرها فكراً تقدمياً، طوال التاريخ كنّا نتعلم ونأخذ من الثقافات الأخرى ما يثرينا كما كنا ننقل إلى الثقافات الأخرى علومنا وأفكارنا وترجماتنا، لسنا أصحاب ثقافة جامدة كما يصوّر بعضهم.

بعد عام 1990 مع سقوط الاتحاد السوفياتي وانتصار الولايات المتحدة في الحرب الباردة، وحرب الخليج ومن ثم احتلال العراق، كل هذه الأحداث جاءت وجلبت معها أفكاراً مختلفة وغريبة عن واقع المجتمعات العربية، ما أدّى إلى انقسام وانشطار الاتحادات النسائية العربية، وما زاد الأمر خطورة هو دور المنظمات غير الحكومية (الإن جي أوز) وتكريسها للمنظور الغربي للمرأة، كنّا مثلاً نرى مثقّفات ناشطات في أحزابهن، تحولن في ما بعد إلى العمل في مؤسسات مستقلة تركّز على قضايا النوع الاجتماعي فقط، ومن ثم انحصر تمويل هذه المنظمات لتحقيق أهداف غربية.

أتذكر مثلاً عام 1995 في «مؤتمر بيجين» كان المطلوب أن تقدّم المنظمات الممثلة مشاريعها حتى تدعمها الدول، نحن قدّمنا مشاريع إنتاجية في داخل فلسطين وخارجها، لم نُعطَ فلساً واحداً، لم يريدوا مشاريع إنتاجية، بل كانوا يريدون إقامة ورشات ينحصر عملها على نشر التوعية بالحقوق القانونية والصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة، نحن نقوم بذلك، لكن هذا لا يعني أن هذا ما نريد القيام به فقط، نحن شعب تحت الاحتلال. كيف نفصل هذا الجوهر، الأساس هو تعبئة الشعب وحثّه على المواجهة.

■ في خضم الصراعات الثقافية والسياسية اليوم، ما رسالتك إلى النساء العربيات اللاتي يجدن في المرأة الغربية مثالاً لهن؟

علينا ألا ننسخ تجارب الآخر، من المفترض أن المرأة العربية وصلت من خلال تعليمها وعملها إلى قدرة قراءة واقعها وتحليله وتفهّمه، لذلك رسالتي لهن: أن ينظرن إلى واقعهن بدرسنه، وعليه يبنيْن أفكارهن، لا يستنسخن أفكار غيرهن بعيداً عن فهم ثقافتهن وتاريخهن، ليست الرؤية الغربية ما ستعطي العربيات حقوقهن، بل ستعطيهنّ مجموعة من الأفكار البعيدة عن واقع المجتمع العربي، الذي علينا دراسته وفهمه، وانطلاقاً من واقعه نعمل على تغيير أوضاعنا كنساء.

يجب أن تتوحد النساء العربيات، ويجب عليهن أن يلتفتن الى الصراع الطبقي وواقعه في كل بلد عربي، وقراءة تشكّل وعي هذه الطبقات، فالتحرّر هو عمل تراكمي، وعلى النساء العمل حتى الوصول إلى صناعة القرار، وعليهن الرجوع إلى الواقع وعدم التحليق في فضاء وهمي، تشدّق الغرب في حقوق الإنسان والديموقراطية كلّه كذبٌ ونفاق.

كلمة إلى الأمّ الفلسطينية وأمهات الشهداء

أقول: إلى الأمهات الصامدات الصابرات، وإلى أمّ ناصر أبو حميد خصوصاً، اللاتي حملن أبناءهنّ في بطونهنّ ومن ثم حملن على أكتافهنّ نعوشهم: أنا أحني رأسي...

أنا أحني رأسي إلى هؤلاء المناضلات العظيمات اللاتي مثّلن حالة لم تمثلها أيّ امرأة في العالم.

نساء فلسطين.. روحها

تحفل الأدبيات الفلسطينية الاجتماعية والسياسية بالكثير من الكتابات عن المرأة الفلسطينية، وتتوزّع تلك المداخلات بين الحديث والتحليل لنضال المرأة الفلسطينية في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، والصمود في المخيمات ورعاية العائلة وتكوينها، والحديث أيضاً عن كونها "شق البرتقالة الفلسطينية" الذي من دونه لا يكون للشعب الفلسطيني وجود.

فتحت المرأة الفلسطينية طريقها وطريق عائلتها بشقّ النفس، سواء بمقاومتها أو صبرها، أو حتى بخلقها أنماطاً جديدة للنساء، لم تعرف الكثير من التجارب النسوية في العالم، ويعود سبب ذلك إلى أن تجربة المرأة الفلسطينية تواثرت الاحتلال بأسماء وأشكال وعناوين مختلفة، وبالتالي أنتجت خطابها الخاص، وليس القول بنافل، إذ إنّ الفلسطينيات مكّنَّ أنفسهن سيدات على مجتمعهن في الداخل والشتات

البلاد

ملف

المرأة الفلسطينية في التجربة الحديثة

موسى جرادات

يتخذ الحديث عن المرأة الفلسطينية، منذ البداية، شكلاً من أشكال الغوص في الأعماق، وتترتّب عليه معالجة قضايا إشكالية، تسكن مسارات المجتمع الفلسطيني منذ عقود، وخاصة منذ تصاعد وتيرة المقاومة الفلسطينية في سبعينيات القرن الماضي، والتي كانت تتخذ روح العدالة مساراً لها، مهما كانت التوجهات الفكرية والسياسية داخل هذه المقاومة، وبذلك أفردت وبلا تردد مساحة كبرى للمرأة ضمن أجندتها؛ بعيداً عن كل الضغوط الداخلية والخارجية.

فالمرأة الفلسطينية بنظر من ساهموا في صياغة التجربة، سواء على الصعيد النظري أو الميداني، شريكة أساسية في صناعة القرار، وهي جزء لا يتجزأ من عملية البناء والإنتاج المعرفي والأدبي والميداني، لذلك لا يخلو أيّ مجال من حضورها الفعلي، سواء في محطات المد أو الجزر، فهي داخل المجازفة التحررية في بناء النهوض الفلسطيني.

لماذا الحضور؟

هذا السؤال هو جوهر معرفة حضور المرأة في المجال العام، وجاءت الإجابة عنه انطلاقاً من قراءة التجربة المجتمعية قبل النكبة وبعدها، وما أسفر عنها من فقدان الأرض، وتشتّت الشعب في بقاع الأرض. وفي سبيل لمّ الشمل، واختيار الكفاح طريقاً للعودة، فرض على الفلسطيني الخروج من دائرة الوشائج التقليدية، والتراتبية العائلية، والقوى التقليدية، التي عاشها لقرون سالفة، وذلك بالالتحاق بركب الحداثة مبكراً، مرغماً لا مخيّراً، فطبيعة العيش في المنافي، وما صاحبها من بؤس حياتي، دفعت الفلسطيني إلى الانخراط مجدداً في بنى اجتماعية مختلفة عما عاشه على أرض الوطن قبل النكبة، لذلك لا غرابة أن تحضر المرأة الفلسطينية في التشكيلات الحداثية الجديدة ذات الطابع الثوري، ضمن السياق العام التعاقدي الذي قدمها كشريكة في النضال على المستوى النظري، وربما كانت التجربة العملية فيها من هواجس الماضي التقليدي، لكنه انعكس على الجميع، ولم تكن بعض الارتدادات سوى امتداد لأزمات النظام السياسي العام، ولم تكن المرأة المستهدفة من هذه الارتدادات.

بين الداخل والشتات

ربما كانت ملامح التجربة المجتمعية الفلسطينية مختلفة في تمظهراتها العامة، بين الداخل والشتات، إلا أن هذا الاختلاف لم يكن جوهرياً بالقدر الذي كان مرتبطاً بالجغرافيا المكانية للفلسطينيين. في الشتات، كان المخيم هو الوعاء الحاضن الذي انطلق منه الفلسطيني إلى أنحاء المعمورة، عاملاً وموظفاً وطالباً، ومن هذه التجربة اكتسب الخبرات التي أثّرت على وعيه المعرفي، وساهمت في بناء رؤية جديدة. في المقابل، فإن الجغرافيا الفلسطينية انحكمت بواقع الاحتلال، وبالتالي اختار الوعي الفلسطيني أن يقيم مواءمة بين مبانيه المجتمعية التقليدية وبين خيارات حداثوية، تبعاً لضرورات المواجهة. صحيح في التجربة المجتمعية الفلسطينية تحت الاحتلال، كان حضور المرأة الفلسطينية رمزياً. إلا أنها دخلت معترك الحياة، وانخرطت في بنى حداثوية، في الجامعة والوظيفة العامة وحتى في الفعل الثوري. والمحك الفعلي لقراءة تجربة المرأة الفلسطينية مرّ بمحطات عديدة، لعل أبرزها مشاركتها الفعالة في أنشطة الانتفاضة الفلسطينية الكبرى، وصولاً إلى قيام السلطة الوطنية الفلسطينية.

عودة القيادة إلى أرض الوطن

مع توقيع اتفاق أوسلو الذي أرسى دعائم بناء نظام سياسي فلسطيني لأول مرة في التاريخ الحديث على أرض الوطن، عبر عودة القيادة الفلسطينية ونقلها لمؤسساتها في الخارج كافة إلى الضفة وغزة، إضافة إلى عودة أكثر من ربع مليون فلسطيني، بينهم عرب كانوا في فصائل الثورة الفلسطينية، ساهمت تلك المتغيرات إلى حد بعيد في بناء تجربة جديدة، عنوانها البناء مجدداً. صحيح أن التجربة كانت محمولة بروح المغامرة، بعيداً عن القراءة العقلانية الواعية، إلا أنها

> الجهد الأكبر لدى المنظمات النسوية الفلسطينية منصبّ على تمكين المرأة نحو إشراكها في الفضاء السياسي والمجتمعي

بحكم الواقع ملأت الفراغ الشاغر منذ عقود، فالجسم الفلسطيني في الداخل كان بدون رأس، ومع أوسلو ومتفرعاته دخل الرأس إلى الداخل، والتقت التجربتان على أرض الوطن، تفاعلتا في منحنيات عدة، لتشكلا لاحقاً مزيجاً تجلّى مع مطلع الانتفاضة الثانية.

خلال هذه المرحلة وما بعدها، نمت منظمات المجتمع المدني الفلسطيني، كمّاً ونوعاً، وطالت مساحات الوطن في المجالات كافة، وكان للمنظمات النسوية حضورها، وأسهمت إلى حد بعيد في بناء تجربة جديدة، تقوم على قوننة الحياة العامة وفق معايير النظام الأساسي (الدستور الفلسطيني) الذي أوضحت نصوصه العامة مبادئ العدالة والمساواة بين جميع أفراده. من هنا اتجهت المنظمات النسوية لتشكل عامل ضغط على قيادة السلطة الفلسطينية للتوقيع على معاهدة سيداو التي نصّت على القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وأصبحت معاهدة دولية في عام 1981، وقّعت السلطة عليها سنة 2014، إلا أنها لم تنشر في الجريدة الرسمية بعد، مع العلم أن السلطة تعيش تناقضاً إشكالياً، في إدارتها للحياة العامة، فهي في العلن تشرّع قوانين حديثة عنوانها المساواة، وفي الفعل العملي شجعت وما زالت تشجع الفضاءات العشائرية التقليدية التي لديها تراتبية تقوم على الذكور في كل المجالات، وهذا التشجيع العملي لديه أسبابه، فالسلطة من جهة فاقدة للشرعية الدستورية، وبالتالي تتّكئ على القوى التقليدية وتستمد منها شرعيتها، ومن جهة أخرى تنفر من كل القوى الحداثية والحزبية، لأنها تشكل عامل تحدّ لوجودها. فمنظمات المجتمع المدني في فلسطين لها حضور فعلي على المسرح السياسي، بالفعل والمشاركة. سميحة خليل مثلاً رشحت نفسها في أول انتخابات رئاسية حصلت في فلسطين سنة 1996 لمنافسة الرئيس الراحل ياسر عرفات.

ومع تلك التطورات في هذا المجال وغيره من المجالات النسوية، تجد السلطة الفلسطينية نفسها في مواجهة دائمة ومستمرة مع منظمات المجتمع المدني الفلسطيني، وخاصة النسائية منها. فالمسرح السياسي والمجتمعي يلحق بالتطورات والتحولات العالمية على الصعد كافة، ويحمل في جعبته مراكمة نوعية في مجال حضور المرأة الفلسطينية عبر مؤسسات متخصصة ومتعددة. ولعل الأرقام التي نشرها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني آخر السنة الماضية تشير إلى أن المجتمع الفلسطيني مجتمع فتيّ، ولعلّ الأرقام المتعلقة بالتعليم تحديداً تؤشر إلى اهتمام المجتمع الفلسطيني بتعليم الإناث بشكل ملحوظ، فقد بلغت نسب الخرّيجات في الضفة وغزة الضعف تقريباً من مجموع الخريجين العام لعامَي 2020 - 2021، وعدد الطالبات الملتحقات بمؤسسات التعليم للعام الدراسي 2021 - 2022 (138,294)، بينما الطلاب الذكور عددهم (16,931).

يتجه المجتمع الفلسطيني صعوداً، ويبدو أنه يتبنّى قيم الحداثة ضمن خصوصية التجربة والحالة الفلسطينية، فالجهد الأكبر لدى المنظمات النسوية منصبّ على تمكين المرأة نحو إشراكها الفعلي في الفضاء السياسي والمجتمعي، إضافة إلى مواجهة قضايا جرائم الشرف التي لا تزال حتى يومنا هذا ظاهرة داخل المجتمع الفلسطيني. صحيح أن هذا الإشراك تم بصورة أو بأخرى، إلا أن الأهداف كلها لم تتحقق بعد حسب وجهة نظر المؤسسات النسوية.

الشهيدة شادية أبو غزالة (رسم سهاد الخطيب)

النساء ذوات الإعاقة في المخيمات الفلسطينية: «ندفع ثمن أننا أحياء»

حنين رباح

خلال مروري بعشرات الأزقة الموحلة في مخيم برج البراجنة، كنت أميل بكتفي يمنةً ويسرةً أحياناً لأستطيع المرور وتلافي الدراجات النارية الكثيرة التي تعبر. وصلت إلى مسجد «فلسطين» الملتصق بأحد منازل المخيم إلى الحدّ الذي يستدعي الداخل إلى المسجد أن يمرّ كأنه داخل إلى المنزل ليدخل المسجد. في هذا الزقاق، وبعد صعودي إلى منزل ياسمين الهابط (36 عاماً) ذي الدرج الطويل، استوقفني باب أبيض مفتوح من الجهتين، وضحكة ياسمين وترحيب أخيها عمر بحيوية كبيرة.

ياسمين هي واحد من مئات الأشخاص ذوي الإعاقة في مخيمات لبنان، تعيش في ظل مظاهر الفقر وانعدام مكونات البيئة الصحية. تجلس في غرفة مفرّغة من الأغراض خوفاً من تعثرها، فهي لا تستطيع الحركة بشكل طبيعي، وتمضي جميع ساعاتها في المنزل بعدما توقفت جميع المشاريع والمدرسة التي كانت ترعى شؤونها بعد انتشار فيروس كورونا. وتوقفت معها ياسمين عن صنع أدوات القش التي تعلمت مبادئها في أحد المراكز القريبة. فلا الأدوات الأولية متوفرة، ولا أهالي المخيم يقبلون على شراء هذه المنتجات.

تشعر ياسمين بالضجر في هذا المنزل المرتفع، فرغم عجزها اللغوي لم تقل سوى «الباب مفتوح عطول، ضلّكن زوروني». فبحسب والدها، يجد صعوبة كبيرة في نقلها من المنزل إلى أيّ مكان خارجي، وينقلها «كل سنة مرة»، لأن ضيق المنازل و«الزواريب» الضيقة في المخيم يجعل من الاستحالة تركيب مصعد كهربائي، وأفضل حل ممكن أن يصل إليه والدها هو تركيب بعض الدعامات للدرج ليستند إليها عندما يحمل ابنته. والد ياسمين منشغل بالعمل لتوفير متطلبات حالتها الصحية بعد تعرضها لجلطة أخيراً. أما ياسمين

> أن نكون من ذوي الاحتياجات الخاصة لا يعني أننا نعاني من مشاكل الفقر فقط، بل لأننا نساء فهذا يجعلنا ندفع ثمن أننا أحياء

فتتحرك وفق إمكانياتها البسيطة في المنزل.

في الطريق إلى منزل حبيبة (اسم مستعار)، فقدان تام للخصوصية، ترى في البيت الأول امرأة أربعينية تشاهد حفلة غنائية على التلفاز بالاشتراك مع أطفال الحي الذين تجمعوا تحت النافذة. وبعدها امرأة تغسل وجهها في المطبخ مرتدية حجابها. أما الأخيرة فتتمدد على أريكتها مشرّعة أبوابها التي لا فائدة من وجودها. حبيبة شابة عشرينية ولدت فاقدة للبصر، فأصرّت على أن تتسلّح بالعلم رغم صعوبته.

في المخيم مشاهد مكتظّة تعجّ بالتفاصيل، من أعلام الفصائل وصور الشهداء والقادة على الجدران إلى تدلّي الأسلاك الكهربائية وتمديدات الصرف الصحي، كلها «كمائن طبيعية» قد تودي بحياة المبصر في المخيم. ففي المخيمات يموت الشبان نتيجة الصعقات الكهربائية من الأسلاك المتدلية، فكيف بمن يعاني من إعاقة بصرية. تحظى حبيبة في الطريق التي تسلكها في المخيم بتعاطف المارة الذين حفظوا طريق منزلها، لكن لا يمكنها التخلص من «تنقيرات» الأطفال، فالحياة في المخيم غير صالحة لحالتها كما تعبّر.

تطوعت حبيبة مع جمعية محلية تؤدي خدمات بسيطة للأشخاص ذوي الإعاقة، كإعارة كرسي متحرك أو توفير بعض الأدوية، لكنها بعد انتشار فيروس كورونا اضطرت إلى ترك هذه الفرصة نتيجة صعوبة حماية ووقاية نفسها من التقاط الفيروس، فهي معتمدة بكل حركتها على لمس المحيط ما جعل عيشها حتى في المنزل مرهقاً لها مع انتشار الفيروس في منطقة تعدّ من أكثر المناطق اكتظاظاً بالسكان. ولا يمكن أن تنسى حبيبة حادثة اغتصاب الفتاة سارية من ذوي الاحتياجات الخاصة في مخيم عين الحلوة منذ أشهر قليلة، وتقول «أن تعيش في المخيم هو ليس خيار المترفين، بل هو المكان الوحيد المتاح. وأن نكون من ذوي الاحتياجات الخاصة لا يعني أننا نعاني من مشاكل الفقر ومعوّقات الحركة والتنقل فقط، بل لأننا نساء فهذا يجعلنا ندفع ثمن أننا أحياء».

الصعوبات اليومية التي يمرّ بها الجزء الأكبر من اللاجئين في المخيمات الفلسطينية في ظل تفاقم الأزمات المعيشية والصحية تتضاعف بالنسبة إلى ذوي الاحتياجات الخاصة. فعددهم وصل إلى أكثر من 5 آلاف شخص تقريباً بحسب «هيئة الإعاقة الفلسطينية» في بيروت. ومع عجز المؤسسات الأهلية والمدنية ووكالة الغوث «الأونروا» عن توفير ظروف ملائمة لعيش ذوي الاحتياجات الخاصة، إلا أن المجتمع وشكل المخيم يزيدان الأمر صعوبة. فـ«لا حياة لذوي الإعاقة في المخيم» تقول مريم (اسم مستعار) التي تتنقل باستخدام كرسي مدولب. وتضيف «لا كرامة للإنسان مثلنا هنا (المخيم)، وخاصة أننا نساء لا يمكننا التجول بحرية كما الرجال الذين يعانون من الإعاقة ذاتها».

وترى مريم أن غالبية المناطق اللبنانية غير مجهزة للكرسي المدولب، إلا أن «الزواريب» الضيقة في المخيم تفاقم المشكلة. «أهلي يضطرّون إلى حملي في كل مرة أريد الخروج فيها من المنزل، والعبور بي في 3 أزقة للوصول إلى الشارع الرئيسي للمخيم لأتمكن بعدها من استخدام الكرسي». مريم التي تتمتع بقدرة عقلية جيدة تعبّر عن حاجة هؤلاء الأشخاص إلى حياة طبيعية من دون عطف من أحد.

مقابلة

ألمانيّة تحرس التراث الفلسطيني والسوري من دمشق

واصل حميدة

عند باب الكنيسة المريمية التي تتوسط حارات الشام القديمة، كانت تنتظرنا بشعرها الفضي ونظاراتها الطبية التي لم تستطع حجب الشغف المشعّ من عينيها الزرقاوتين، ابتسمت، وبلهجة فلسطينية ملونة بتكسيرات أجنبية زادتها لطافة قالت «مرحبا، أنا هايكا تفضلوا البيت قريب من هون».

سارت هايكا فايبر أمامنا مسرعة كطفلة تحفظ الحارات وتعرف ساكنيها، كانت توزع السلامات على جيرانها، فيرد أهل الحي السلام، فهي صانعة الجمال كما يحبون توصيفها. أخرجت من جيبها ساقط الباب (مفتاح الباب الرئيسي للبيوت العربية القديمة)، وفتحت الباب الخشبي العتيق، فأطل أمامنا «الدهليز»، سرداب طويل، تخيّم عليه ظلمة تخترقها الشمس من فتحات جانبية، ويصل إلى «أرض الديار» (ساحة البيت) الذي تتوسطه البحرة، وتترامى على أطرافه غرف المنزل وأقسامه المختلفة، عبرنا «أرض الديار» المزينة كباقي المنزل بمشغولات من التطريز الفلسطيني القديم، ما زاد بيتها الشامي سحراً وألقاً من نوع آخر.

قادتنا إلى «الليوان أو الإيوان» أحد أبرز عناصر البيت الدمشقي الذي ينفتح مباشرة على الباحة السماوية، ويرتفع حوالى 50 سم عنها، يعتليه قوس كبير، وهناك جلستْ. كانت ترتدي ثوباً أزرق، نُقشت عليه أبيات قصيدة بحروف عربيّة، جُمعت بترتيب يرسم خريطة فلسطين، وعنه قالت هايكا (70 عاماً) «هذه قصيدة لا أعرف من كتبها، لكنني سمعت الفنانة الفلسطينية الراحلة ريم البنا تغنيها، وتقول فيها «عناة يا أمي يا مرجة الأقحوان»، أعجبتني، فقمت بتطريزها بالخط العربي على شكل خريطة فلسطين، وعناة هي آلهة الصيد والحرب لدى الكنعانيين، سكان فلسطين في العصر القديم».

تعرّف السيدة هايكا عن نفسها، بأنها ألمانية الأصل، «أمي وأبي ألمانيان، لكنني عشت المدة الأطول من حياتي هنا، وكانت علاقتي قوية جداً مع الفلسطينيّين، فقد كنت متزوجة من فلسطيني، فأنا جزء مني ألماني، وجزء فلسطيني، وآخر سوري، ولا أعرف أي الأجزاء يغلب على البقية، لكن ليس من الضروري أن يوصف الإنسان نفسه بمنطقة معينة».

من برلين الغربية إلى فلسطين

في عام 1967، كانت هايكا تبلغ السادسة عشرة من عمرها، لم تعرف حينها حقيقة ما يجري في المنطقة العربية، حيث كانت الدعاية الإسرائيلية تزيف كل الحقائق، تقول «هنا الأطفال ترضع السياسة مع حليب أمهاتهم، وأنا أنحدر من برلين الغربية، كان لدينا وقتها اهتمام بالسياسة بسبب المشكلات السياسية بين شقّي البلاد الغربية والشرقية».

تستذكر هايكا الدعاية التي كانت رائجة في ألمانيا الغربية في تلك الفترة، ومدى تأثيرها على أبناء جيلها، «أدخلتنا مديرة مدرستنا إلى صالة العرض، وجعلتنا نستمع إلى الراديو الذي كان يروّج للرواية الإسرائيلية، بأن إسرائيل لها حق الوجود في فلسطين، وأن العرب سيأتون لرمي اليهود في البحر. كان الشباب بعمري متحمّسين للذهاب إلى إسرائيل، للقتال إلى جانب اليهود، إلا أنني لم أتدخل كثيراً بهذا الموضوع».

مع بدء نشاط الحركة الطلابية في برلين الغربية، انخرطت هايكا فيها، وبدأت ترى الأمور من منظور آخر، فأصبحت ترى ليلى خالد رمزاً للأنثى المقاتلة، وخلال التظاهرات في شوارع برلين، كانت تحمل هي ورفاقها صور هوشي منه، وجيفارا وليلى خالد، وبدؤوا يقرؤون عن فلسطين، «أدركنا أن الأمر ليس كما أخبرونا عنه، ومن وقتها بدأت أهتم بأمور العرب والفلسطينيين بشكل خاص، لمعرفة حقيقة ما يجري في تلك المنطقة من العالم».

درست هايكا الأدب المقارن، إضافة إلى العلوم الموسيقية، وخلال انخراطها مع الحركة الطلابية في برلين الغربية، تعرفت إلى المخرج السينمائي الفلسطيني جبريل عوض أحد كوادر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وصاحب فيلم «برلين المصيدة»، وتزوجا فيما بعد.

لقاء بيروت الأول والحياة داخل الحصار

رافقت هايكا زوجها إلى لبنان لإعداد فيلم «صباح الخير يا بيروت»، تتذكر لحظاتها الأولى في تلك العاصمة العربية، «وصلنا إلى لبنان في الشهر الرابع من عام 1982 وكانت الحرب قائمة والأوضاع متوترة، والجو بارد جداً، وشعرت أنه أبرد من طقس ألمانيا! كنت متحمّسة لأرى ماذا يحدث، حيث تم قصف مطار بيروت لحظة خروجنا منه، فيما اندلعت الاشتباكات قبيل أحداث جونية، وكذلك قصف سوق الفاكهاني، خلال وجودنا فيه، وبدأنا نركض هرباً، أنا لم أكن أعرف بيروت قبل الحرب».

في ظل هذه الظروف استطاعت هايكا وزوجها تصوير أماكن الدمار وإجراء المقابلات مع الناس، لكنها اضطرت للعودة إلى ألمانيا، لتأمين المواد الفيليمة لإكمال التصوير، بعد أن أصبحت مفقودة في بيروت، عادت وأكملا العمل على فيلمهما.

لم تستطع هايكا وزوجها ترك أهالي بيروت المحاصرين، فبدآ عرض أفلام في الملاجئ، خاصة داخل المخيمات الفلسطينية التي أنهكها القصف الإسرائيلي، «في الحقيقة كان بحوزتنا فيلم واحد، روسي عن الحرب العالمية الثانية، كانت أحداثه مشابهة لما يحدث في بيروت، كانت الطائرات الإسرائيلية تحوم فوقنا، والصغار يتجمعون حولنا، أما الكبار فكانوا أكثر حذراً، واقترحنا على الأطفال عرض أفلام كرتونية لهم في المرة القادمة، لكنهم رفضوا ذلك، لأنهم يريدون مشاهدة أفلام تحاكي أحداثاً حقيقة من الواقع».

صدمة الخروج من بيروت

"لم أكن أتوقع أن الرفاق سيفعلون ذلك» بهذه الكلمات تصف هايكا مغادرة التنظيمات الفلسطينية للبنان، وتضيف: «قالوا إنهم يخرجون لأن اللبنانيين طلبوا ذلك»، لافتةً إلى أن تصرفات بعض التنظيمات الفلسطينية في لبنان، وانخراطها في الحرب الأهلية، دفعت بعض اللبنانيين إلى الشعور بأن الفلسطينيين يحتلون بلدهم، وهذه الأخطاء هي التي أدت إلى خروجهم.

الأخطاء ذاتها التي وقعت بها بعض التنظيمات الفلسطينية في الأردن وخلال أحداث أيلول الأسود تكرّرت في لبنان، إلا أن الوضع في الأردن مختلف عن لبنان بحسب هايكا التي تقول: «الفلسطينيون في الأردن كانوا يشكلون الغالبية، حتى قبل عام 1967، وبالتالي يعتبرون الأردن بلدهم، وخاصة أن الأردنيين قريبون جداً من الفلسطينيين بالعادات والتقاليد والقرابة، أما لبنان كان يعاني من توترات قبل قدوم التنظيمات الفلسطينية ومع مجيئهم ازداد الوضع سوءاً».

تتنهد هايكا مقلبة كفيها، تنظر بعيداً وتتابع حديثها عن تلك المرحلة التي عاشتها الثورة الفلسطينية «أعتبر المنطقة كلها بلداً واحدة، هي بلاد الشام، لكن كان للاحتلال الفرنسي تأثير أكبر على لبنان، أصبح بعض اللبنانيين يعتبرون أنفسهم فرنسيين أو فينيقيين، وأنهم أعلى مستوى من العرب، كان على المرء أن يتصرف عندهم بحذر أكثر حتى لو كانوا مجموعة قليلة».

غادرت هايكا وزوجها بيروت إلى مدينة طرطوس السورية، على متن سفينة كانت تقلّ اليساريين الذين ينتمون إلى المقاومة الفلسطينية، وفي مقدمتهم الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين جورج حبش، والأمين العام للجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين نايف حواتمه، حاصرت البوارج الأميركية السفينة التي تقلهم من اليمين واليسار حتى وصولها إلى المياه السورية، تصف هايكا تلك اللحظات، بعدما ارتسمت معالم الخيبة على وجهها «كان الوضع حزيناً جداً، ونحن نرى حجم بيروت يصغر ونحن نبتعد عنها».

استغربت الألمانية اليسارية المناصرة للفلسطينيين من المشهد الذي رأته لحظة نزولها ميناء طرطوس، أناس كثر، وأعلام ورايات وهتافات تُرحب بالأبطال القادمين من ساحة المواجهة مع العدو الصهيوني، تضيف «لم نكن مسرورين بالقدوم إلى سوريا، كنا نود البقاء في بيروت، بعد ما شهدناه من أحداث ومجازر، ومدى الألم الذي يعيشه اللبنانيون والفلسطينيون، ولكن بعدما عايشت الشعب السوري، ورأيت ثقافتهم، أحببتهم كثيراً».

استقرت هايكا، داخل حي التضامن على أطراف مخيم اليرموك جنوبي العاصمة السورية، «على مر السنين ازداد عدد ساكني المخيم من السوريين، كان يضم الكثير من الثوريين والمثقفين والفنانين من السوريين والفلسطينيين، ثم قدم التجار وازداد الاختلاط فيه، إلا أنه بقي محافظاً على طابعه الفلسطيني حتى اندلاع الحرب في سوريا التي قلبت الأمور رأساً على عقب».

من الحصار إلى التطريز

اتجهت هايكا بعد استقرارها في سوريا إلى تعلّم التطريز الفلسطيني الذي برعت فيه والدة زوجها، ونقلت عنها أسرار ذلك الفن، بل ذهبت إلى البحث في دلائل وأصول كل تطريزة ورسمة من الجانب الميثولوجي، «لست ربة منزل فقط، قررت أن أقيم دورات للأشغال اليدوية للنساء، فقد كان لدي هدفان الأول تعلم اللغة بشكل أفضل، والثاني التقرب أكثر من النساء هنا والاحتكاك بهن أكثر».

مارست هايكا الأشغال اليدوية منذ الرابعة من عمرها في بيت أمها وأبيها بألمانيا، فجيلها والأجيال السابقة كان يتوجب عليهم تعلم الأشغال، تقول: «لم أكن أحبها جداً، لكنني كنت أساعد جدتي في العمل، لذلك أعرف خطوات صنعها، لكن عندما رأيت التطريز الفلسطيني، ومن ثم السوري، فكّرت بالعمق الذي يحمله هذا الفن، وأنه ليس فقط ديكوراً وتزييناً، فبدأت أبحث عن هذا الموضوع، عن أصل التطريز، وتفسير أشكال النقوش والرموز وما عمرها، وما هي الأفكار التي توحي بها هذه النقوش؟».

(الأخبار)

الحوار كاملاً على موقع الجريدة

الأخبار
al-akhbar
السبت 14 كانون الثاني 2023 العدد 4824

صورة وخبر

يستكمل الصينيّون الاستعدادات لاستقبال السنة القمرية الجديدة في 22 كانون الثاني (يناير) الحالي. 2023 هو عام الأرنب الذي يرمز إلى طول العمر والإيجابية والسعادة والذكاء والحذر والبراعة وحماية النفس. يعدّ الحدث أحد أكبر وأهمّ الاحتفالات في جميع أنحاء آسيا والشتات، ويمثّل بداية جديدة وتجديداً للصحة الجيّدة والسعادة والثروة. يجتمع الناس مع عائلاتهم لتناول وجبة كبيرة في الليلة السابقة لرأس السنة، وتستمر الحفلات في الشوارع وتُطلق الألعاب النارية، كما تُقدَّم رقصة التنين الشهيرة فيما يزدان كل شيء باللون الأحمر. ولهذا علاقة بأسطورة فولكلورية صينية حول وحش كبير هاجم بلدة. حاول القرويون القضاء عليه بالأصوات العالية والزينة الحمراء. ولإبقائه بعيداً، يكررون الشيء نفسه سنوياً. (أ ف ب)

المفكرة

من يفوز بـ «جائزة سليماني»؟

■ تدعو «جمعية أسفار للثقافة والفنون والإعلام»، يوم الثلاثاء المقبل إلى حضور احتفال توزيع «جائزة سليماني العالمية للأدب المقاوم» في دورتها الثانية. الحدث الذي يجري على «مسرح رسالات»، تتخلّله كلمة لراعي الاحتفال الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله وأخرى للجمعية، بالإضافة إلى تقرير حول الجائزة وعرض كليب قصير. تضمّ القائمة القصيرة في فئة القصيدة العمودية: آيات جرادي من لبنان، وضياء الكيلاني من مصر، وحسن عكلة ثجيل وفراس متاني وقاسم الشمري من العراق. في الرواية، اختير فتح الله عمر ونجاح إبراهيم من سوريا، وحسن نعيم وحوراء حرب ومريم الأمين من لبنان. وعلى قائمة القصّة القصيرة، هناك رقيّة كريمي من إيران، وعبد الرحيم سليلي من المغرب، وآلاء شمس الدين وهلا ضاهر وحوراء حجازي من لبنان. كما تألّف عن فئة سيناريو الفيلم القصير كلّ من روز إسماعيل من سوريا، وأحمد برّي وعلي حمادي وقمر غندور وليلى سويدان من لبنان.

احتفال توزيع «جائزة سليماني»: الثلاثاء 17 كانون الثاني (يناير) الحالي. الساعة السابعة مساءً. «مسرح رسالات» (المركز الثقافي لبلدية الغبيري). للاستعلام: 70/826477

طيف بهاء طاهر يخيّم على الباشورة

■ يتيح «نادي الكتاب» لمحبّي القراءة مناقشة الكتب وتبادل الآراء ضمن حلقة شهرية تستضيفها مكتبة بلدية بيروت العامة (الباشورة). هكذا، تدعو «جمعية السبيل»، في 19 كانون الثاني (يناير) الحالي إلى مناقشة «واحة الغروب» للروائي المصري بهاء طاهر (1935 ـ 2022/ الصورة). العمل الذي استحال مسلسلاً رمضانياً عام 2017 (سيناريو وحوار هالة الزغندي ومريم نعوم، إخراج كاملة أبو ذكرى)، حاصل على «الجائزة العالمية للرواية العربية» (2008). وفيه، يعود طاهر إلى نهايات القرن التاسع عشر، وبداية الاحتلال البريطاني لمصر. يُرسل ضابط البوليس المصري «محمود عبد الظاهر» إلى واحة سيوة لشك السلطات في تعاطفه مع الأفكار الثورية لجمال الدين الأفغاني وأحمد عرابي. فيصطحب زوجته الأيرلندية «كاثرين» الشغوفة بالآثار، والتي تبحث عن مقبرة الإسكندر الأكبر، لينغمسا في عالم جديد شديد الثراء والخصوصية، يجبرهما وأهل الواحة على مواجهة أنفسهم في زمن اختلطت فيه الانتهازية والخيانة والرغبة بالحب والبطولة.

مناقشة «واحة الغروب»: الخميس 19 كانون الثاني 2023 . الساعة الرابعة بعد الظهر . مكتبة بلدية بيروت العامة (بناية الدفاع المدني/ الطبقة الثالثة . الباشورة). للاستعلام: 01/664647

لا تفوّتوا حفلة جوي فيّاض

■ يعدّ NOW Beirut (الأشرفية) محطة ثابتة في روزنامة جوي فيّاض (الصورة) الفنية. اليوم السبت، تلتقي عازفة الغيتار والمغنية اللبنانية الشابة صاحبة الصوت القوي والحضور الآسر، الجمهور مجدداً في هذا الفضاء البيروتي، مقدّمة باقة منوّعة من الأعمال التي تستعيدها من الريبرتوار الغنائي الغربي لأنماط عدّة، أبرزها الروك المستقل والبلوز روك. وهناك طبعاً حصة لأغنياتها الخاصة، وتحديداً من ألبومها Reveries of Joy.

حفلة جوي فيّاض: اليوم السبت . الساعة التاسعة مساءً . NOW Beirut (شارع سليم بسترس . الأشرفية . بيروت). للاستعلام: 01/211122

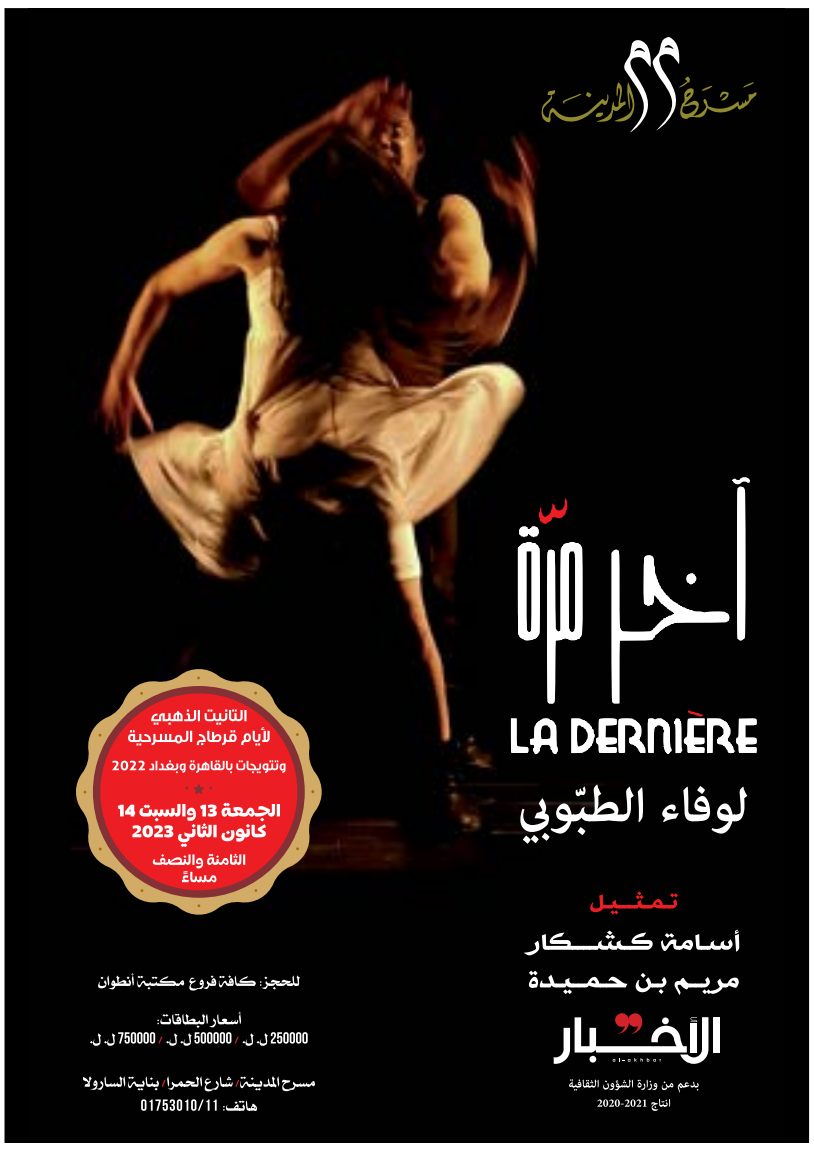

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 14 كانون الثاني
العدد 4824 السنة السابعة عشرة
Samedi 14 Janvier 2023 nº 4824 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

إمبراطوريّات *

لقد تنبّأت جدّتي بنهاية
إمبراطورياتكم أيها الحمقى!
كانت تكوي والراديو مفتوح
اهتزّت الأرض تحت أقدامنا
كان أحد أبطالهم يخطب
قالت عنه «وحش»
كانت هناك هتافات ومدافع تحيّي الوحش
أعلنتْ: «بإمكاني أن أقتله بيدي»
لم يكن هناك حاجة لذلك
فهم جميعاً
ذاهبون إلى الشيطان قريباً
لكنها أنذرتني:
«لا تثرثر بشيء عن هذا لأي شخص»
ثم جرّت أذني لتتأكّد من أنّي فهمت.

* قصيدة لتشارلز سيميك ــ ترجمة الشاعر والروائي العراقي سنان أنطون ــ ص 4-5

وكالة «غيتي»

حوار

رشيد الضعيف: الحياة مع الميثولوجيا أرحم

لا يزال رشيد الضعيف قادراً على إدهاشنا كقرّاء ونقّاد ومتابعين لمسارات كتابته منذ بداياته الشعرية في «حين حلّ السيف على الصيف». و«لا شيء يفوق الوصف». و«اي ثلج يهبط بسلام». وانتقاله إلى فضاء الرواية، مبتدئاً باعمّ الطويل فيها برواية «المستبد» (1981) لتكرّ من بعدها سبحة الاعمال التي تركنا وتمتعنا بلغتها التي تقارب الواقع بلغة مباشرة وجدلية تنطلق من المكوّن الماركسي في شخصية كاتب «غفلة التراب» إلى عناوينه المثيرة للجدل او الغرابة مثل «تصطفل ميريل ستريب» و«أوكي مع السلامة» و«انسي السيارة» وغيرها لكنها لا تتوانى عن معالجة المواضيع المعقّدة على الصعيد الإنساني العام او المحلي، كالمواضيع الاخلاقية والاجتماعية ومسائل الحداثة والتقليد ومسالة حلم مثقفي القرن التاسع عشر ببناء الدولة كما في «تبليط البحر». والاغتراب والإيمان الصريح كما في «هرّة سيكيريدا».

يطرف رشيد الضعيف هذه المرّة باب الميثولوجيا في روايته الجديدة «الوجه الاخر للظل» (دار الساقي ــ 2022)، ناهلاً من تراث المنطقة العربي والمشرقي الذي تتبدى ملامحه في اكثر من مقطع من الرواية في ثيمات الحمل والولادة والامومة. يصوغ لنا حكاية فانتازية ميثولوجية هي ـ كما يصفها ـ نوع من القيلولة على ظهر العاصفة. حول روايته الجديدة التي هي بمثابة اللبنة الثانية في كتابته لهذا النوع الادبي بعد «الاميرة والخاتم» (دار الساقي ــ 2021) وامور اخرى مرتبطة بالكتابة والثقافة والحياة، كان هذا الحوار مع رشيد الضعيف الذي يؤمن بان «الاسطورة تقي من الصقيع. الإنسان الذي يذهب في الاسطورة يأخذ مسافته من الاشياء وينفصل عن هذا الواقع الذي يفوق قدرة العاقل على التحمّل. بالاسطورة تنبت للإنسان أجنحة. في الأسطورة يغدو الإنسان قادراً خالقاً. يغدو سيّد الزمان بشفّيته الوقت والمكان. الأسطورة تُقيل أيضاً من الآثار السلبية للعلم وللتكنولوجيا، ومن الآثار السلبيّة للمبالغة في العقلانيّة. ■ امرأة تحبل من أثر غيمة... تولّد انطباعٌ بأنّ الروح القدس ينفخ على بطن العذراء، هل حضر النصّ الديني في وعيك عند الشروع في كتابتها؟

ــ ما حضر هو الميثولوجيا في ثقافتنا العربية، والتراث الشعبي الديني الذي حضن اليهودية والمسيحية والإسلام. مكوّنات هذه الرواية من هناك. بدت قراءة الرواية نقدياً على ضوء هذا التراث، وهو ما لا يجيده بعض النقّاد. يجب أن تكون لديك الأدوات المعرفيّة لذلك. هناك مستويان في الرواية، زمن أحداثها الذي يقع في الماضي، وزمن كتابتها الذي هو اليوم. لا أنادي بالعودة إلى الماضي بالتأكيد، ولكنّ في هذا التراث العربي درراً تحتوي على قدر هائل من الدهشة. إنها تجارب مئات السنين، وحضارة سادت العالم مئات السنين، وهو ليس بالأمر اليسير، وثقافة عالية الطراز. لا ننسَ عصر الرشيد والمأمون. هي ثقافة حضّت إلى حدّ ما ثقافة اليونان والرومان، لم يحدث قطع بين هذه الثقافات الثلاث، كما أنّ الحضارة العربية هي في بطن الحداثة الغربية اليوم، ورأس أساسي من روافدها. لا أقول ذلك من باب الدعاية القومية أو الدينية، بل من موقع إنساني مراقب فحسب. هذا تراث غنيّ بشكل هائل، وللأسف فإننا ندرّسه في المناهج كصرف ونحو وبلاغة كما حين نتعامل مع الشعر الجاهلي، ولا ندرّسه كظواهر إنسانية خالدة. حين يقول الشاعر الصعلوك مثلاً: «عوى الذئب فاستأنستُ بالذئب إذ عوى وصوّتَ إنسانٌ فكدتُ أطيرُ»، أي نوع من الوجودية العالية الطراز في هذا البيت قبل إنشاء مذهب الوجودية بقرون، ليس على مستوى النظام الفلسفي المتطور، وإنما على مستوى الإحساس التلقائي.

■ هل الكتابة التخييلية منبوذة من القراء في العالم العربي، بحيث نراهم يفضّلون الكتابة المباشرة التي يحيط فيها السرد باليومي والمعيش والواقع الصعب؟

- فاجأني عدد القرّاء الذين قرؤوا هذه الرواية بمتعة. غالبية ردود الفعل التي يطفئني هي أنهم لم يتركوها من أيديهم حتى أنهوها إلى آخرها، أي قراؤها في جلسة واحدة أو جلستين، واستمتعوا بها القراء من مختلف المشارب، ومنهم رجال السياسة كالوزير السابق الفضل شلق الذي كتب عنها مقالاً مطوّلاً في «180 بوست». أحد الكتّاب المصريين قرأ «الأميرة والخاتم» لأولاده. الكاتبة والرسّامة خيرات الزين قالت إنّها أوقفت الرسم والكتابة لتنسج للأميرة فستانها. أسوق هذه الأمثلة لأقول إنّ ما تسمّيه النقص في الكتابة التخييلية يعود ربّما إلى الكتّاب والنقّاد، وليس إلى القارئ الذي هو بحاجة إلى المتخيَّل كي يأخذ قيلولة تُنسيه لبرهة هذا الواقع، وهو بحاجة إلى المتخيَّل أيضاً لأسباب عديدة أخرى. قد لا يلقى هذا النوع من الكتابة الاهتمام اللازم والمستحَق من بعض النقّاد، لأنّهم غير مسلّحين بالأدوات اللازمة لقراءة هذا النوع وتحليله وإبداء الرأي فيه.

■ حين قرأنا الرواية السابقة «الأميرة والخاتم»، قلنا إنها فلتة شوط تجريبية من رشيد الضعيف وخروج عن السائد والمألوف. يبدو الآن كأنك تكرّس هذا النوع من الكتابة الأسطورية التخييلية... وماذا عن كواليس الكتابة؟

- هذا صحيح. شجّعتني على كتابة هذه الرواية الثانية رغبتي في تأكيد هذا النوع. لم أشأ أن تكون «الأميرة والخاتم» «فلتة شوط»، لذلك كتبت الثانية «الوجه الآخر للظلّ» تكريساً وتأكيداً لهذا النوع، وقد أكتب رواية ثالثة في هذا المناخ. كتب الروائي والنّاقد المصري محمد سمير ندا على صفحته على الفايسبوك أنّ هاتين الروايتين، ولادة جديدة، وهما تشكّلان فصلَين لِبَصْماة إلى «ألف ليلة وليلة»، سرّني هذا الرأي. أنا من المثابرين على قراءة التراث النثري العربي القديم، أقصد كتب التاريخ والنقد والأخبار والسِّير... وأتابع بخاصّة التصوّر الأسطوري للعالم في الثقافة العربيّة القديمة. إنّ مصادر روايتَي «الأميرة والخاتم» ثم «الوجه الآخر للظلّ» ومكوّناتهما من هناك، لكن بكتابة معاصرة.

أحاول أن أذلّل المصاعب التقنية، مثل هويّة الشخصيات والانتقال من حدث إلى آخر وتركيب العبارة، وتحديد الفئة التي أتوجّه إليها وبايّ أسلوب، والصوت الداخلي... عندما أنتهي من كتابتها أسأل نفسي: «ماذا سأقول عنها الآن؟ أيّ خطاب ساعتمد؟»، ليس لديّ خطاب مسبق عمّا أكتب، بل خطاب أنشئه في ما بعد. بعد أن أُنجز العمل. ذلك لأنّني لا أكتب لتأكيد نظرية أو تطبيق نظريّة، ولا أكتب برويّة غدا.

أقول لك رأيي صراحةً في هذا الموضوع: عندما يتكلّم الكاتب أو الروائي أو الشاعر عن نتاجه، إنما هو يبرّر ما يكتب. إنّه يقوم بالدعاية لما يكتب. يسوّقه. ليس الكاتب بالضرورة هو الذي يدرك جميع أسرار ما كتب. هل كان المتنبي يدري بأنه عروبيّ بالمعنى السياسيّ، كما يقراه اليوم كثير من الناس؟ لا شكّ في أنّ الكاتب قريب جداً مما يكتب، إنّه لا شكّ أقرب إليه من حبل الوريد، لكنّه يتحوّل مهما يكن قريباً له، إلى قارئ له. قارئ مميّز بالتأكيد، لكنّه قارئ.

■ متى يقرّر الروائي أن يغيّر تقنياته في السرد والكتابة؟ هل يتّخذ قراراً واعياً بخصوص هذه النقلة أم ثمة ثيمات تفرض نفسها فرضاً على كتابته؟

- هذه أشياء تنمو بهدوء في باطن الأرض وتظهر ساعة تشاء كالبذور تتفرّج عن نُبوتها في أوانها. المرّتان في الروايتين هاتين موجودتان في رأسي وأحلامي وثقافتي وتطلّعاتي ووعيي وطفولتي وكرهي وحبّي من زمنٍ بعيد. فرضت المرأة نفسها فرضاً، اختارت نفسها وصفاتها وسيرتها ومصيرها، واختارت بخاصّة طبيعتها. «فالأمومة» لها، بخلاف التفسير الذكوري للدين... أرى في ذلك تفسيراً عادلاً إذا جاز التعبير. لماذا ننفي «الألوهة» عن المرأة؟ حريّتها مطلقة في التصرّف بجسدها. تقرّر الاحتفاظ بولدها رغم كلّ شيء. رغم الاضطهاد وأنواع الصعوبات والقبل والقال... نهوض المرأة صباحاً لتجد حشرة قد لسعتها في بطنها، هي إشارة إلى أنّ الموضوع ليس غبيّاً حصراً، وليس طُهراً بالمعنى الميتافيزيقي.

اخترت الأسلوب اللغوي الذي رأيته مناسباً ومتمّماً للموضوع. مراجع هذا الأسلوب هي في التراث النثري الثري (القديم). بُنيتُ أسلوبي على الطرق والحِيَل والمهارات اللغويّة التي تعبّر عن تصوّر الثقافة العربيّة الكلاسيكيّة للعالم (اقصد جانبها الميثولوجي) من أجل أن أخلق هذا الجوّ الأسطوري.

■ هناك من يقرأ هذه الرواية قراءةً سياسيّة، فهل دخلنا في السياسة إذاً؟

- هذا حقّه. كلّ نتاج فنّي، لغوياً كان أو صوتاً أو صورة، يمكن قراءته بطرق لا تُحصى. أنا رأيي شخصياً في الموضوع، كقارئ، فأقول نعم يمكن قراءتها من زاوية الأخلاقيّات السياسية (الأثيقا).

كيف تحيل الملكة ولم يقربها زوجها الملك؟ هذا أمر لا يُحتمل بالمطلق. إنّ خيانة الملكة للملك ليست مسألة شخصيّة، بل هي مسألة خطيرة لأنّها تمثل من الملك بالذات.

ليس على الملك أن يحمي مُلكه فحسب، بل عليه أن يحمي المُلك بالمطلق. المَلِكُ خادم المُلك. صحيح أنّ الناس جميعاً رعاياه لكنّه في الوقت نفسه، هو ذاته، خادمُ المُلك. لذلك لا يمكنه أن يهرب من إجماع الناس على أنّ زوجته خانته، فكيف لا ينتقم منها؟ لا يرضى شعبُ المملكة بهذه الخيانة، يجب غسلها بالنار، بالنار. وينصاع الملك لشعبه، قبل أن يصل إلى الحقيقة التي تحرّره من الشكّ.

■ لم يقدّم العلم ولا الدين الخلاص للبشريّة، هل يخلّصنا الخيال؟

- أصبح العلم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر هو الدين الجديد الذي ظنّ بأنه الخلاص للبشريّة... وإذ بالبواخر المسيّرة على البخار، تختصر المسافات وتخلق ظروفاً مؤاتية للاستعمار... وإذ بالصناعة تلوّث الكوكب... في موضوع الدين، لا مفرّ من ملاحظة أنّ الدين لم يحلّ مشاكل البشر، ولا وقاها من الأمراض والكوارث والحروب والمجازر والتدمير. لا بدّ إذاً من «تحرير» الله من قبضة الأديان المصالح والمؤسّسات والطوائف والأحزاب والإمم. لم تحلّ هذه الأديان مشاكل البشريّة، لكنّ الإيمان قادر على توفير الخلاص للإنسان، بالرجاء والأمل، بالعودة إلى الله المحبة الصرف، والله العدل المطلق، الله الأمل المطلق بالخلاص، والرجاء المطلق بالانتصار على الفناء. كانت الشيوعية بمثابة دين. كانت رجاءً بخلاص أرضيّ، وكذلك كان كلّ حزب حمل، أو ما زال يحمل، عقائد ثابتة كقطع الحديد الصبّ. كلّ شيء يفقد ليونته يتحوّل إلى عقيدة صبّ. هل تُنشئ هذه العقائد الثابتة الظروفَ لولادة الميثولوجيا والخيال البحت غير المرتبط بما يسمى الواقع؟ هل تصبح الحياة مع الميثولوجيا أرحب وأرحم؟

(هيلم الموسوي)

■ في الرواية ألفة بين المرأة والطبيعة في زمن يبدو فيه الإنسان عدواً لنفسه وليس للطبيعة فحسب، ماذا يمكن أن تقول بهذا الصدد؟

- حين أفكّر الآن بالرواية مثلك كقارئ، يمكن أن أعثر فيها على الهارمونيا بين المرأة والطبيعة، وهو أمر لا أمتلك نظرية فيه ولم أقصد مسبقاً أن أكون كاتباً إيكولوجياً بيئياً. لا أحد يعرف كيف يغربل الزمن ما نكتبه وكيف يصنّفه.

■ كمدرّس لمادة الكتابة الإبداعية في الجامعة الأميركية في بيروت، ما هي الفروقات التي تلحظها في الكتابة بين جيلكم والجيل الجديد؟

- علاقة الجيل الجديد بالمكتوب مختلفة تماماً. لديّ إحساس بأنّنا بحاجة إلى مزيد من الوقت لفهم الاتجاهات التي يسلكها هذا الجيل بالكتابة، ولكن من المؤكّد أنهم يتمتّعون بقدر كبير من الخيال، وبلغة سليمة لا يعوزها الكثير من الصقل. صدر قبل أيّام، عن «دار نلسن»، كتاب ثمان من نصوص لطالبي، اخترتُها وحرّرتها، بعنوان «دعوة إلى العشاء». يضمّ هذا الكتاب نصوصاً مدهشة، ومنهم طالبة الطب، ومنهم طالب الكمبيوتر، ومنهم طالب الهندسة، إلخ... دائماً ما نسمع أن اللغة العربية اليوم هي في حالة يرثى لها، لكنّ رأيي معاكس تماماً لهذا القول المتشائم. أنا أقول إنّنا اليوم في العصر الذهبي للّغة العربيّة. من كان يمتلك القدرة على القراءة والكتابة في زمن المتنبّي كما هو واقع الحال اليوم؟ كم كان عدد المتكلّمين بالعربية الفصحى في الإمبراطورية العباسية المترامية الأطراف؟ هل يجب على المهندس اليوم أن يكتب بأسلوب المتنبّي لتكون اللغة العربية بخير؟ ومَن كان يكتب مثل هذا العملاق في زمانه؟ لا أحد. عشرات الملايين من العرب يقرأون ويكتبون اليوم باللغة الفصحى. كم كان عدد الذين يقرأون ويكتبون في العصر العبّاسي؟ واحد كلّ عدّة آلاف؟ ربّما أقلّ. ملايين العرب يسمعون الأخبار يومياً باللغة الفصحى، ويقرأون الصحف! فهل كان ذلك متوافراً في تلك الأيّام؟ أنا الكتابة العلميّة والنشر، فهذا موضوع آخر لا علاقة له باللغة.

■ بماذا تنصح...

- ليست عندي قواعد أو نصائح للكتابة وبخاصة أنّني شخصياً لا أنسج على منوال. أنّ تكتب وأنت متحرّر تماماً أمر خطير للغاية لأنه قد يعرّضك للفشل التام. أنصح فقط -إذا حقّ لي أن أنصح - بأن يكون الإنسان متحرّراً من المسلّمات الموروثة، وألّا يراقب نفسه خوفاً وهو يكتب، «من ألف استهدف» (قول عربيّ قديم). اسمح لي أن أختم هذا اللقاء، بأن أذكّر القارئ بما أردّد دائماً، وهو أن ينسى ما قلتُه عمّا كتبت، وأن يقرأ على هواه وبثقافته وهمّه ومشاغله، لا أن يقرأ كما أريده أن يقرأ. الكتاب ملكه.

ما تحت اللغة

بول مخلوف

بقدر ما تبدو قراءة «الوجه الآخر للظل» شيّقة سردياً بقدر ما هي رواية صعبة ومتطلبة، تحتاج إلى يقظة وربط وتركيب جراء ما تحمله من وفرة في الإشارات وثراء في الإحالات، في توظيف لا يصيب مرماه دون ورود محسوب للقارئ. فالرواية هذه، بالدرجة الأولى، رواية أسلوب أخذ من التلميح والإيحاء غايته ووسيلته في الوقت عينه، فلا بد من تقفّي الأثر كي تتحوّل الإيماءة المرمية إلى بلاغ. فمثلما أن الغمز مثلاً ليس بالضرورة دلالة على الانسجام، فإن وجه الرواية هذه، بالأساس، مرهون لظلّه. هي بالدرجة الثانية، فضاء مفتوح، ينتظر من القارئ لحظة دخوله كي ينغمس فيها، كي يصبح شخصية من شخصياتها، أو امتداداً لها، لئلا تكتمل. كأن غاية المؤلف من هذه الرواية العرائبية هو التعامل معها بوصفها استعارة، والتوغل فيها كما تفترضه طبيعتها، أي بغرائبية. لأجل الإفصاح عن رؤية ميتافيزيقية تخصّه. رشيد الضعيف في حكايته هذه، يهمس همساً خافتاً بأسرار في أذن القارئ ويتوقع منه الإصغاء، ويطالبه بالنسج بالإبرة والخيط ما ورد من تلك الهمسات بغية تخييط النسيج، لأن انكشاف الأسرار يعني فهم الحكاية التي بدورها تشترط التشبيك، أي القراءة كمهمة تشبه فعل الحياكة. يروي للقارئ قصة تلهب خياله، ليس من شأنها المؤانسة والإمتاع، ولا الضحك على عيب أو هفوة، وهي طبعاً، لا تساعده على النوم، إنما تؤرقه وتتحداه لتدمغ بعبرتها، وهي عبرة مؤلمة، فيه. فهو، إذاً، يتحايل على القارئ ويتقرب منه في آن. يتعبّأ، يوثّره في عالمه. يُقدم له حكاية من باب الخيال ليقول له حكايته الخاصة تجاه الحقيقة والعالم. القصة برمّتها أشبه بغشاوة تخفي مفاهيم، ومواقف مُضمَرة كامنة ضمنياً، في كتابة لا تعلن عن نفسها جهاراً كما اعتادت أن تفعل.

على أن «الوجه الآخر للظل» هي أيضاً، الوجه الأدبي الآخر لمؤلفها. وجه بانت بعض ملامحه في عمله «الأميرة والخاتم»، لكننا اعتقدنا أنها مجرد ظلال عابرة، متغيّرة وقد سقطت سهواً، وأنها ليست انعكاساً للوجهة الثانية للوجه. يبدو أن الضعيف في أكثر عملين له، مطارد بارث ثقافي ترعرع في كنفه وخرج عليه، استقى منه لغته فيما ركن أسلوبياً وتركيبياً على نقيضه، وهو يلعب، أو يلاعب هذا الإرث، اللعبة نفسها التي يلعبها مع القارئ: حركة مغمة بالمد والجزر، حرقصة حذقة، ممرّراً يده (على التراث) بملاعبة ناعمة تخلق، بلمستها، أثراً، على هذا النحو، يستغل النزعة الأسطورية في الأدب لتمرير وجهة نظره المتفردة، ويوظف الموضوع العام لتبيان موضوعه الخاص. بهذه الحيلة يخلخل، يصبح موضوع الرواية موضوع إسناد، أي يتحول إلى جدار دعم للبناء السردي، بينما المعنى المرجو يمكث بشكل مستتر، قابعاً في الطابق السفلي من الرواية.

تحضر الأسطورة في «الوجه الآخر للظل» ويغيب معها الجنس. لكن غياب الجنس هو غياب عَرَضي، لأن الملكة التي حملت من أثر غيمة بواسطة فراشة غطت على بطنها، هو أمر مستحيل، غير مقنع حتى في فضاء الميثولوجيا. أمر جعل الملك يغتاظ لأنه عجز عن التصديق، هكذا أضحى الجنس الحبكة الأبرز من حبكات الرواية، وبالتالي، يكون حاضراً، ولكن بالظل. هذا الالتباس القائم مع ثيمة الجنس، كفيل بإيضاح خيار الضعيف بالوصف والحكاء من الخارج كأنه على مسافة، يخبُر الحكاية من الألف الى الياء، بحركة دائرية تنتهي من حيث تبدأ. نقرأ في البداية أن الأرض تشقّقت فجأة وتدفّق ماء المحيط وفصل بين قارتين (قارة أفريقيا عن شبه الجزيرة العربية وقارة آسيا) فكان البحر الأحمر. وفي هذه الآقاليم جرى العديد من الأحداث، منها قصة الملك والملكة. ومن ثم تأتينا النهاية، بتراجيديا وفاة الملكة التي سببت أحداثاً أبوكاليبسية، حيث إن لحظة فنائها طاولت محيطها من بشر وطبيعة، فأحدثت موتاً ودماراً وخراباً. إلا أن «العالمين في ذلك الزمن بأن الأرض مستديرة، قد ذكروا بأن البحار تريد الانقضاض على اليابسة في كل لحظة، لكن دوران الأرض حال دون ذلك». كأن المراد التعبير عنه من هاتين اللحظتين، الأولى والأخيرة، هو ترجمة غير حرفية لمقولة «من التراب وإلى التراب نعود»، كأن الضعيف يطرح، ضمن سياقين اخترعهما، لبدأ الوجود، ويعلله بأن الأصل هو الماء. والماء باعتباره قرين المرأة، هو حمّال أوجه، وفي «الأميرة والظل» هو الصانع للقارات وهو الناهي لها. إلا أن دوران الأرض، كما جاء في الرواية، وقف بوجه هذه الرغبة. تبدو هذه الرغبة تدميرية، «صاحبة قوة عمياء» على حد توصيف شوبنهاور للإرادة، ويبدو أن لا خلاص سوى بمزاجية دوران الأرض على أساس أنّ «الأرض دارية بما تحتضنه» كما ختم الضعيف. لكن ما هو موضوع المعرفة عند الأرض؟ بما هي تدري؟ ولكن لماذا يشعر القارئ بأن الحكاية المقروءة هذه، بالرغم من غرائبيتها، تبدو كأنها، بعناصرها وخيوطها، مألوفة للغاية، فيما جوهر الغرابة يكمن في السياق (الأسطوري لا المقدّس) وفي عدم ورود أسماء؟

يوقظ الضعيف في أسلوبه هذا، الموروث اللاوعي عند القارئ ويعبث فيه، كما أنه أيضاً، يعبث مع صاحبه. يعيد الضعيف طبخ الروايات المقدّسة في قالب أدبي، في رواية يبدو صاحبها شديد الحرص على قول حميم لديه، يتعلق بسرديات كبرى تطول منبع الشر، وشكل الخلاص، وعبثية العالم. ليست النماذج التي وردت في الرواية كالجن، أو الطبيعة الغاضبة، أو فكرة الحبل بلا دنس، أو حتى موت الملكة الذي سبّب الأثر نفسه الذي سببه المسيح عند موته حيث سقط الهيكل وكاد العالم أن ينتهي تناصاً مع نصوص الآقدمين، إنما عناصر وظيفية مهمتها حثّ العقل وجعله صاحياً، فاعلاً، «غرارة مُفكِّرة» بحسب تعبير بليز باسكال؛ يترجم ما يقرأه ويربطه مع ما يعرفه، فتتشكل بذاك البوصلة الدالة على المعنى.

غير أن الأرض لا السماء، تعلم كل شيء. الأرض تعلم أن الملكة من صُنعها، وأن الملكة أيضاً، هي ملكة عليها. بحسب اعتراف والدتها، فقد ولدت الملكة بداع وقصد، لسبب مجهول يفوق المعرفة. هي كما يعنون «امرأة ليست كالنّساء»، تسير وفقاً لقاعدة مقدّسة مفادها أن جسدها هو السر، وهي أمينة لهذا السر، ولو كلّفها عصيان أوامر زوجها الملك والتبعات الوخيمة لهذا العصيان. هذا أبخس ثمن للحرية. يؤنسن الضعيف الملكة ويعطيها هيئة الكمال البشري بكامل أبعاده. فالملكة متخمة بالصفات الأفلاطونية: الحق والخير والجمال، وكانت الأرض، بكامل قوتها، راعية لها. غير أن الملكة تدرّ على مصيرها في رواية تدور برمّتها حول المصائر. الحرية في «الوجه الآخر للظل» توازي الماء، باعتباره المبدأ الأولي، الحرية علّة الوجود، ومن يتصلّ بها يتصلّ تلقائياً، بالصفات الأفلاطونية تلك. والملكة الأفلاطونية بما تنطوي عليه من عاطفة جياشة تجاه ابنها، وحساسية مفرطة تجاه كل ما يحيط بها من كائنات وخضار، وشجاعة صلبة، وحدها التي تماهت إلى حدّ الامّحاء، عقب موتها، مع الضوء. تغدو الملكة، عند الضعيف، بما تمثله من نزعة مجرّدة كل التجريد من السلطوية، مليئة بالفضائل، أقرب إلى المتصوّف الزاهد، أو الناسك المتعالي، أو الأبيقوري القديم. بالأحرى، الملكة أقرب إلى القدّيسة، أو تكاد أن تكونها. وكونها هي الأخرى، في الرواية، مثل الجميع، قد ولدت لسبب مجهول، معطوف على القليل من اليقين بأن سبب ولادتها هادف، فقد حقّقت ما حققته فقط من خلال تفعيل إرادتها: بالحفاظ على سرّها والمكابدة لأجله. الملكة إذاً، صاحبة إرادة، وهي طبعاً، حرة، وترعاها الأرض، فكيف يمكن لحلم زوجها أن يجعل من حياتها مساراً وعراً؟ ولكن... هل تكون ملكة إن لم تتزوج ملكاً؟ يلعب الضعيف على الثنائيات (الحضور والغياب/ وجود وعدم/ ظهور وغياب) لتصبح حبكته مصنعاً لحبكات لا تنتهي إلا بمشيئة صانعها.

إذا كانت والدة الملكة لا تعلم سبب ولادة ابنتها، فأحداث الرواية ستُخبر: الملكة في امتحان وجودي. زواجها بمثابة درب جلجلة تتناحر عليه قوتان: الأولى أنثوية، تمثل تصوّراً مكثفاً لكل ما يراه البشر في المخلصين فيما الثانية هي القوة التي يهرب منها البشر منذ فجر ولادة الأقاليم والقارات، هي قوة الملك الأهوج الذي يمتهن البطش بينما يمتهن شعبه تخيل وجه الخلاص أو ظل المخلص. الملكة كبش فداء.

في هذا الجوّ العارم من الفانتازيا الأسطورية، لا يبشر رشيد الضعيف بدعوة أو بمثل عليا. لا يكشط الزيف إنما يجعله منزاحاً، يديره لصالحه ليجيء المعنى موَجّجاً. هناك عدمية جليّة متأصلة في «الوجه الآخر للظل»، تفضح ميل الضعيف لإظهار البعد القاتم الذي لا يستوي فقط في سلوكيات (بشرية) تمظهرت في وضاعة الأفعى وخساستها، أو في الخوف الذي باستطاعته أن يفعل المستحيل إن تحكّم منه المجموعة التي أرادت أن تجهز على عديا وتقتله، أو في التعذيب المتوحش الذي أطبق على الملكة في امتحان وجودي. زواجها بمثابة درب جلجلة تتناحر عليه قوتان: الأولى أنثوية، تمثل تصوّراً مكثفاً لكل ما يراه البشر في المخلصين فيما الثانية هي القوة التي يهرب منها البشر منذ فجر ولادة الأقاليم والقارات، هي قوة الملك الأهوج الذي يمتهن البطش بينما يمتهن شعبه تخيل وجه الخلاص أو ظل المخلص. الملكة كبش فداء.

في هذا الجوّ العارم من الفانتازيا الأسطورية، لا يبشر رشيد الضعيف بدعوة أو بمثل عليا. لا يكشط الزيف إنما يجعله منزاحاً، يديره لصالحه ليجيء المعنى موَجّجاً. هناك عدمية جليّة متأصلة في «الوجه الآخر للظل»، تفضح ميل الضعيف لإظهار البعد القاتم الذي لا يستوي فقط في سلوكيات (بشرية) تمظهرت في وضاعة الأفعى وخساستها، أو في الخوف الذي باستطاعته أن يفعل المستحيل إن تحكّم منه المجموعة التي أرادت أن تجهز على عديا وتقتله، أو في التعذيب المتوحش الذي أطبق على الملكة في امتحان وجودي. زواجها بمثابة درب جلجلة تتناحر عليه قوتان: الأولى أنثوية، تمثل تصوّراً مكثفاً لكل ما يراه البشر في المخلصين فيما الثانية هي القوة التي يهرب منها البشر منذ فجر ولادة الأقاليم والقارات، هي قوة الملك الأهوج الذي يمتهن البطش بينما يمتهن شعبه تخيل وجه الخلاص أو ظل المخلص. الملكة كبش فداء.

ملف

تشارلز سيميك: عرّاف عاطل عن العمل*

تحيا قصائد تشارلز سيميك (1938-2023) على الحافّة، في الحواشي، وعميقاً حولها، في التّخوم، دائماً. وعليها: «حيث كلّ شيء يترنّح على حافّة كلّ شيء». على ذلك الحَرْف المعلّق بين الزّمن والتّاريخ، وبين الزّمن والأبديّة. كما الوَ اللغةَ، في جوهر وجودها المُعيّن، حالةٌ موقّتة لما لا يُوصَف أو يُقال. كما الوَ القصيدةَ، في كينونتها الدّائخة، ليست سوى ذلك الصّوت الهامس الذي نسمعه، عميقاً، في آخر اللّيل. القصيدةُ-الظلّ التي هي كلّ شيء آخر. كلّ ذلك الذي لا يتحقّق إلّا باختروية ما سواه. الانا الغنائيّة في مواجهة العالم، باقصى طاقاتها ضدّ شروره وفوضاه. كما انّ موضوعة الشّعر عند سيميك، هي «موضوعة الشّعر في زمن الجنون»: ان «يُذكّر النّاس بمخيّلتهم وإنسانيّتهم». وليس الشّاعرُ عنده، سوى «ميتافيزيقيٌّ في الظّلام». شاعرٌ يسعى، بالنّظرة غير العاطفيّة التي يمتلكها عن العالم، إلى كتابة قصيدةٍ دنيويّة ابديّة، قصيدةٍ تتقبّل التراجيديا تلك «الكآبة الأنيقة». تعيش فيها ثمّ تمضي قُدُما. الوافعيّة المتجهّمة التي تُحوّل التراجيديا إلى نوعٍ من الشّعر الذي هو السّعادة: «السّعادة القديمة وقد صارتْ سعادةً جديدة». تشريح الكآبة الذي يُفضي إلى الغَرَف الجوّانيّة للنّفس التي ترى. وثمّة نظرةٌ مزدوجةٌ في القصيدة التي يكتبها سيميك. من الشّخْتيّل والعاديّ. عوالم سرياليّة يتصادم فيها الميثولوجيّ بالمُبتذَل. ويتصادم فيها اليوميّ بما هو وراءه: يغمض الشّاعرُ عينيه، على قَدْر استطاعته، «كي يرى العالَم على نحوٍ افضل». كما انّ الهَزْل والطّرَف وحضورَ البديهة والتهكّم سماتٌ اساسيّةٌ في بنية المشروع الشعريّ الذي يشتغل عليه، لانّ «الهَزْل، كالشّعْر، مُنتهِكٌ ومُحرّضٌ». ولا يكفّ تشارلز سيميك، في قصائده، عن العودة إلى اماكن طفولته، كأنّه مازال يحياها هناك. كانّ القصيدة، في حدّ ذاتها، هي «فردوسه المفقود». او، بالاحرى، «ايثاكاه» التي يحرص على ان تظلّ ماثلة في ذهنه. كأنّه قد كُتب عليه ان يصل إلى هناك. كما يقول كفافيس في قصيدته ذائعة الصّيت. لكنّ تلك العودة اشبه ما تكون بالعزلة: عزلة المنفرد الذي يُطلّ على نفسه من ثقب صغير في الذاكرة. عزلةٌ ليست هي عزلة الاخر — البعيد والقصيّ والغريب والاجنبيّ — بل هي تلك المرآة الوجوديّة التي نرغب، نحن قرّاء شعره، في القفز في اعماقها، وان نكون جزءاً حيوياً من المشهد كلّه. ان نفكّك طبقات الصّمت التي تلفّ القصيدة، لنرى وجوهنا تشعّ، بلا ايّ اقنعة. ليس على السطح فحسب، وإنّما عميقاً في وجود كينونتنا ذاته. ان نرى الكلمات، والصور الشعريّة، والاستعارات، في كل احوالها ومقاماتها. وقد اصبحت طريقاً منيراً تاخذنا في رحلة «جوّانيّة». لنعثر على المعنى، معنى وجودنا نحن. وجود الذي لا «يمتلك تاريخاً، بل نوستالجيا لا تنتهي». قلّةٌ من الشّعراء المعاصرين كانوا يمتلك تأثير سيميك. او في مثل فَراده. وليس ثمّة، في اميركا اليوم، شاعرٌ آخرُ يكتب بإحساسٍ عظيم من وضوح الصّورة، مثلما يفعلُ هُوَ

اختيار وترجمة وتقديم **تحسين الخطيب**

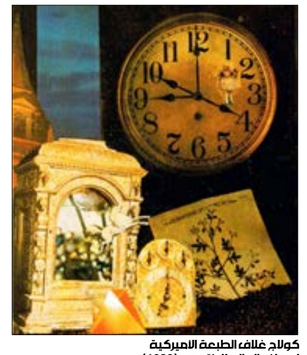

كولاج غلاف الطبعة الاميركية لديوان «العالم لا ينتهي» (1989)

1. خوف

جاهلاً،
يعبرُ الخوفُ،
مِن شخص إلى آخر،
مثلما تُمرِّرُ أوراقُ الشّجرة رجفتَها
من ورقةٍ إلى أخرى.

فجأةً ترتعشُ الشّجرةُ كلُّها
ولا أثر للرّيح.

2. قصيدة

تُغنّي ابنتي الصّغيرةُ في اللّيل:
اه! اه! اه! اه!
لقد جاءت من أرضِ ضرّاراتِ اللّيل
والمياهِ العميقة
وفي غنائها تعودُ.

3. الآبد

تلمسيني،
تلمسينَ الوطنَ الذي نفاكِ.

4. مزمور

لا بُدّ أن تفهموا بأنّني اكتبُ في اللّيل
ما أكتبُ
يطوّقني نوهُمنَّ مثلَ بحرٍ مُحيط.
اسمُها مريمُ، أشدُّ النّساء غموضاً.
هي غايةٌ، عند أوّل الوقت تنتصبُ.
وأنا شخصٌ في ثنايا ها أرقدُ. هذا
الضّوءُ سائلُنا المنويُّ.
الغابةُ عتيقةٌ، أعتقُ من النّوم،
وأعتقُ من هذا المزمورِ الذي أنظمُهُ
كلّما مضيتُ.

5. بطيخ

تماثيلُ بوذا خضراءُ
فوقَ بسطةِ الفاكهة.
ناكلُ الإبتسامةَ
ونبصقُ الأسنان.

6. الأداء

أحبُّ الأداءَ، الأداءَ
المكتنزةَ، النّاهدةَ، يحرسُها
زِرٌ وحيدٌ.
لديَّ قناعُ عيدِ القدّيسينَ
أخافُ أن أرتديه.

10. ملحوظة

ظهرَ جرذٌ على خشبةِ المسرح
في أثناءِ عرضِ
مسرحيّةِ المدرسةِ في موسمِ عيدِ
الميلاد.
صرخت مريمُ
فأسقطت الرّضيعَ
على قدمِ يوسف.
ظلّ المجوسُ الثّلاثةُ
مُتجمّدينَ
في أرديتهم الملوّنة.
تستطيعُ أن تسمعَ دبوساً يسقطُ
والجرذُ يستكشفُ المِذوَدَ
قبلَ أن يواصلَ طريقَهُ إلى الكواليس
حيثُ خيطَهُ شخصٌ،
دُونَ تهاوُن،
مرّةً، ثُمّ مرّتَيْن،
بشيءٍ ثقيل.

11. طفولة بارمينيدس

إلى إلكترا هافياريس
ولأنّهُ قد سأل: لماذا يُوجد شيءٌ
بدلاً من الأشياء؟
أرسلَ المُدرّسُ الوقحَ الصّغيرَ
لرؤيةِ المدير.

لحسنِ الحظّ، ليسَ لديهم مديرٌ بَعْدُ.
ليسَ إلّا الملكُ مينوس ومَتاهتُهُ.
وفيلمونُ، بالطّبع، الذي على وشكِ أن
يموتَ من الضّحك
حينَ رأى حماراً يأكلُ التّين.

12. كتابات الصّوفيّين

على المنضدةِ بينَ كأسٍ
كثيرة، مستعملةٍ جداً،
الكتابُ النّادرُ الذي يتوجّبُ أن تقتنيه
على الفور، الكتابُ
الذي يجعلُ خفقَ قلبكَ يتسارعُ
بابليّةً تراثُ.

وأنتَ تنتظرُ فكّةَ النّقودِ
بابتسامةٍ سخيفةٍ
سوفَ ترافقُكَ إلى الشّارع،
ثُمّ تمرُّ، لاحقاً، بصاحبةِ البَناية
التي تراقبُكَ وأنتَ تمسحُ حذاءَك،
ثُمّ تصعدُ إلى الشّقّةِ المستأجرة
التي تجاورُ شقّةً نادلةً تعملُ في
ملهى ليليٍّ
تحلقُ ساقَيْها
والبابُ مواربٌ،

وحينَ تقلبُ الصّفحةَ الأولى
التي تتحدّثُ عن حُدوسٍ
كينونةٍ ساميةٍ
في أشياءَ مألوفةٍ ومبتذلةٍ...

في منزلٍ سوفَ يُهدَمُ عمّا قريب،
عُمّةُ الصّمتُ فجأةً حتّى كأنّهُ قد باتَ
في عالمِ الغيب...
عليكَ أن تهمسَ باسمِكَ
وكلماتِ النّاسك.
حيثُ لا بُدّ أنّهُ قد مرّ وقتٌ طويلٌ على
تناولِ العشاء،
العشاءِ الذي التهموهُ سريعاً،
سعيداً لأنّ حصّتكَ الصغيرةَ
كانتْ مِن نصيبِ الكلبِ ذي الأرجُل
الثّلاث.

13. العالم لا ينتهي: قصائدُ نثر

كانتْ أمّي جديلةً مِن دخانٍ أسود.
حملَتْني مُقمّطاً فوقَ المُدُنِ التي
تحترقُ.
كانتِ السّماءُ رحبةً ومكاناً تعصفُ
بهِ الرّيحُ كي يلعبَ طفلٌ.
قابلنا آخرينَ كانوا مثلَنا تماماً.
كانوا يحاولونَ ارتداءَ معاطفهم
باذرُعٍ خُلقَتْ مِن دخان.
كانتِ السّمواتُ العُلى طافحةً بأذانٍ
صغيرةٍ منكمشةٍ صمّاءَ بدلَ النّجوم.

■■■

الحَجَرُ امرأةٌ عقيمةٌ. لا شيءَ فيهِ
سوى العتمة. عتمَتِكَ أمْ عتمتِه، مَن
يدري؟ كصرارِ ليلٍ أسودَ يصحبُ
قلبَكَ في السّكون.

■■■

الآفُ الكهول، وقد انزلوا سراويلَهم،
ينامونَ في المراحيضِ العامّة، انتَ
تبالغُ، أنتَ تُهذّبُ! الآفُ المُريَضات، الآفُ
المُجدليّاتِ ينتحبنَ عند أقدامهم.

14. بابل

كلّما صلّيتُ
يكبرُ الكونُ،
واصغرُ.

كانتْ زوجتي أن تدوسَ عليَّ
رأيتُ ساقَيْها الهائلتَيْن
تصعدان إلى مرتفعاتٍ شاهقةٍ
ومثلَ لحيةٍ إله
تلألأ بينهما السّعرُ.

بابليّةٌ تراثُ.

«إنّي أصغرُ، في كلّ دقيقة»،
صرختُ... فلم تسمعني
بينَ الزّقورات والأسُسِ المجنّحة،
والمنجّمينَ الصّاخبينَ لعينَيْها
المرسومَتَيْن.

15. في اللّيل

كانتِ الرّيحُ تُعِدُّ الحساءَ
للّذينَ طارَ النّومُ مِن عيونهم

حساءَ ديكِ الرّياح

16. شطرنج مساني

الملكةُ الغاضبةُ مرفوعةٌ عالياً
في يدِ أبي الغاضبة.

17. قسط من الرّاحة في مستشفى المجانين

كانوا قد علّقوا دموعَ المساءِ على
زجاجِ النّوافذ.
كانَ الجنرالُ مشغولاً بمزرعةِ النّمل
في رأسِه.
وكانَ القدّيسونَ الشّفعاءُ يتحرّقونَ
في قبورهم، يتحرّقونَ جميعاً سوى
الذي كانَ سجينَ نجمٍ سينمائيٍّ
أسودِ الشّعر.
ارتدى موسى لحيةً مستعارةً وكذلك
لنكون.
أعادَ أحدهم إنتاجَ المنهجِ السّقراطيّ
في الاستفهام بإظهارِ جهالةِ السّقف.
أسرّ ادمُ: «لقد سرقوا سرَّ علبةِ الثّقاب
الموسيقيّةِ مِنّي».
قالت حوّاءُ: «كانَ اكبرُ ديكٍ في العالَم
سيجعلني مشهورةً».
يا للرّكض عارياً فوقَ مرجٍ مُعشّبٍ بعدَ
حمّامٍ باردٍ!
كانتِ المرْضعةُ في الخيمةِ البيضاءِ
تُحوّلُ الماءَ نبيذاً.
أسرعي إلى البيتِ، أيّتها الغيمةُ
السّوداء.

18. الصّوت في الثّالثة صباحاً

مَن أضافَ ضحكاً مُعلّباً
في مشهدِ صَلْبي؟

19. متجر الملابس العتيقة

مخزونٌ هائلٌ من حيواتٍ سابقةٍ
كي تَفتّشَ فيهِ
عن تلكَ التي تلائمُكَ
نَظيفةً، مكويّةً للثّوْ،
رغمَ باقاتها البالية.

تمثالُ عرضٍ يرتدي ملابسَ سوداءَ
واقفٌ بالبابِ كي يخدمك.
عيناهُ عليكَ ولنْ يُغلِقَك.
يبدو شارلبُهُ مرسوماً
بطرفِ سيجارٍ مُطفأ.
أبراجٌ بناطيلَ تميلُ،
حينَ تستديرُ كي تهربَ،
وقبّعاتُ الموتى تتدحرجُ
على الأرض، مسرعةً
كي ترافقكَ إلى خارجِ الباب.

20. عقولٌ مطْوِيّة

كانت جارتي تحدّثني
عن قطّتِها العمياء
التي تذهبُ في اللّيل
إلى أينَ؟ سألتُ.

حينئذٍ، تماماً، نادتني أمّي المُيّتةُ
كي أغسلَ يديَّ
العشاءُ جاهزٌ على الطّاولة.
الفارُ الصّغيرُ الذي صادتهُ القطّةُ.

21. في دكّان الخردوات

سلّةُ قشٍّ صغيرةٌ
طافحةٌ باوسمةٍ
تعودُ إلى حروبِ نبيلةٍ قديمةٍ
لا أحدَ يذكرُها.

قلبتُ وساماً
كي أشعرَ بالدّبوس
الذي وخزَ ذاتَ مرّةٍ
صدرَ البطلِ المنتفخ.

22. موسيقى ليليّة

أيّها الجدولُ الصّغيرُ، يا مَن تجري
أمامَ بيتي،
أحثُّ النّغمةَ التي تدندنُ بها لنفسك
حينَ يهبطُ اللّيل،
ولا أحدَ مستيقظاً إلّانا.
ولأنّكَ تصاحبُني
فإنّني لا أخافُ
العتمةَ حولَ سريري
والأفكارَ في رأسي
وهي تتطايرُ محدودبةً كالخفافيشِ
بينَ الكنيسةِ القديمةِ والمقبرة.

23. صائدُ ذبابِ الليلِ المُدلهَم

سَقَفْتُ نَفْسِي
بالكلمات.

ليلةً إثرَ ليلةٍ
سَقَفْتُ نَفْسِي

ثانيةً ضدَّ
المِحَاةِ المُعَلّقة.

24. فطيرة الكرز

لَوْ صحيحٌ أنّ الشّيطانَ يضعُ إصبعهُ
في كلّ فطيرةٍ، فلا بُدّ أنّه ينتظرُ
اللّيلَ كي يُرخي سُدُولَهُ، والعتمةَ
كي تَجِنّ في الفِناء، حتّى لا نراهُ
وهوَ يَلعقُ الإصبعَ الذي غمسهُ في
فطيرتِك،
تلكَ التي اخرجتِها من الفرن، يا
حبيبتي،
وتركتِها كي تبردَ قربَ النّافذةِ
المفتوحة.

25. خُطّ خربشةً في العتمة

صرخةٌ في الشّارع.
شخصٌ يُجادلُ شيطانَهُ.
ثُمّ، تعودُ السّكينةُ.
الرّيحُ تُشعّثُ أوراقَ الأشجار.
والطّيورُ في أعشاشها
مسرورةٌ إذْ تُهدْهِدُ ثانيةً للنّوم.
يَبْرُدُ اللّيل.
وجداولُ الدّم في المَجْرى القديم
تنتظرُ شروقَ الشّمس.

26. درس في علم الفلك

الضحكةُ الصّامتةُ
للنّجوم
في سماءِ اللّيلِ
تُخبرنا
بكلّ ما نحتاجُ إلى معرفته

27. بين زوّاري المتأخّرين

ثمّةَ بقرةٌ
اقتلعَ الجنودُ
عينيها بسكّين
وأشعلوا القشَّ تحتَ ذيلها
كي تركضَ عمياءَ
فوقَ حقلِ الألغام
ومِن ثَمّ في رأسي
بينَ حينٍ وآخر

28. الحلم الاميركي

حينَ تضعُ اريلُ البودرةَ على أنفها
في مرآةٍ على منضدةِ الزّينة
ثمّ ترمقُ نهديها العاريين
فتزلقُ منفخةُ البودرةِ إلى أسفلِ
كي تلمسَ إحدى حلمتَيْها،
فيما أحدُ القساوسةِ على شاشةِ
التّلفاز
يطلبُ من المحتشدينَ الصّلاةَ
وإرسالَ الأموالِ إليهِ اليوم،
هذا يُسمّى الحلمَ الأميركيّ.

29. كومة قشّ

أتستطيعُ أن تجدَ هناكَ
القشّةَ التي قَصَمَتْ
ظهرَ أُمّك؟

30. رايحٌ الرّيح

تُقلّبُ صفحاتِ
موسوعةٍ سميكةٍ
رمميّةٍ مع النّقاياتِ،
في عجلةٍ من أمرها كي تعثرَ على
إجابةٍ.

31. شجرة ضخمةٌ عجوز

ضاقتْ ذرعاً باوراقها الضّاخبةِ
وطيورها التي تغرّدُ بصوتٍ رخيم،
وبنقّارِ الخشبِ الصّغير
الذي يحفرُ بيتاً جديداً لنَفْسِهِ فيها.

32. وولت ويتمن

تحتشدُ العصافيرُ والحمامُ
حيثُ يستلقي وقدِ افترشَ الأرضَ،
بشعرِهِ الطّويلِ ولحيتِهِ البيضاءَ،
مُسنِداً ظهرَهُ إلى جدارٍ
في هذا المرتَع السّكنيّ لآبلِ للسّقوط،
حيثُ باتي المُشرّدونَ كي يموتوا
ويتوقّفَ النّاسُ كي يشهدوا
معجزةَ هذا الصّباح،
صبيّةٌ بكعبَيْنِ عاليَيْن
تقرضُ فوقَ الرّصيف
تُفتّتُ رغيفاً مِنَ الخُبز
كي تُطعِمَ الشّاعرَ العجوزَ الأزرق.

33. في العالم كلّه في هذي اللّحظة

يُعرّي العُشّاقُ العُشّاقَ
لأعينِ الأزرارِ،
الكبيرةِ والصّغيرة، والسّحّاباتُ
عالقةٌ، بعناد،
نصفَ مفتوحة.

34. لقد ماتت الرّيحْ

فاحترش،
يا قاربي الصّغير.

فلا
أرضَ تلوحُ في الأفق.

35. أملتُ أمّي انّ

تاخذَ ماكينةَ الخياطةِ
معها إلى القبر،
وأظنّها قد فعلت ذلك،
فصوتُ الماكينة، من حينٍ لآخر،
يُبقيني مستيقظاً في اللّيل.

36. للإيجار

غرفةٌ كبيرةٌ نظيفةٌ
زاخرةٌ بأشعّةِ الشّمس
وصرصارٌ وحيدٌ
كي تحكي لهُ عن متاعبك.

- ولد تشارلز سيميك Charles Simic (واسمه الحقيقيّ: دوجان سيمتش) في بلغراد في يوغسلافيا السابقة عام 1938. غادر مسقط رأسه إلى باريس، وهو في الخامسة عشرة من عمره، مع أمّه وأخيه، قبل أن يلتحقوا بعد أشهر، بأبيه الذي كان يعمل في الولايات المتحدة منذ نحو ستّ سنين. تستقر العائلة، بداية، في نيويورك، ثم ما تلبث أن تغادر إلى شيكاغو حتى عام 1958، ثم تعود إلى نيويورك، فيعمل تشارلز نهاراً في وظائف مختلفة حتى يكمل دراسته في المساء. ثم يتحقق الحدث الأدبي الأول في حياته، حين تنشر مجلة «شيكاغو ريفيو» في عام 1959 بعض قصائده التي كتبها أثناء إقامته القصيرة في شيكاغو. بيد أنّ مفاهيمه الشعرية ونظرته الجمالية إلى الأدب شهدت تحولاً جذرياً خلال سنتي خدمته العسكرية، فعمد إلى تمزيق قصائده المبكرة، لأنها لم تكن، على حدّ قوله، سوى «قيء أدبي». ويعد عام على حصوله على درجة البكالوريوس من جامعة نيويورك، نشرت دار «كاياك» في سان فرانسيسكو، مجموعته الشعرية الأولى «ما يقوله العشب» (1967). كرّت أعماله الشعرية ومعها تتويجاته. إذ اختارته مكتبة الكونغرس عام 2007 ليكون «شاعر أميركا الرسمي» Poet Laureate الخامس عشر. كما نال جائزة «البوليتزر» في الشعر (1990)، و«جائزة الأركانة الدوليّة» في المغرب (2019) وغيرها. من ابرز أعماله: «تفكيك الصمت» (1971)، «مدرسة للأفكار الشريرة» (1978)، «قصائد مختارة: 1963-1983 (1985 ـ القائمة القصيرة لجائزة «البوليتزر» لعام 1986)، «أغنياتُ بُلْوز لا تنتهي» (1986 ـ القائمة القصيرة لجائزة «البوليتزر» للعام 1987)، «العالم لا ينتهي: قصائد نثر» (1989 ـ جائزة «بوليتزر» للشعر لعام 1990)...

- تحسين الخطيب: شاعر ومترجم أردنيّ. صدر له، في الترجمة: «إيروتيكا» ليانيس ريتسوس (المتوسط، 2017)؛ و«المسخ يعشق متاهته: يوميّات» لتشارلز سيميك (2016، الهيئة المصريّة العامة للكتاب)؛ و«الوصول الحُرّ» لبيتر سابر (2015، دار بلومزبيري). وصدر له ضمن مشروع «كلمة» للترجمة: «أدب أميركا اللّاتينيّة» لروبيرتو بونسالِيس إيتشيفاريّا (2019)، و«حدود المادّة: الكيمياء، والتّحدين والتّنوير» ليلمار فورش (2019)، و«المجرّة: رسم خريطة الكون» لجيمز غيتش (2018)، و«المدرسة» لكاثرين بيرك وإيان غروس فينور (2013)، و«الجذور الثقافيّة للإسلاموية الأميركيّة» لتيموثي مار (2011)، و«العالم لا ينتهي: وقصائد نثر أخرى» لتشارلز سيميك (2010)، و«كتاب القلق» لفرناندو بيسوا (2022). أصدر مجموعة شعريّة بعنوان «حجر النّدى» (المتوسط، 2017).

* مادة هذا الملف مأخوذة من مختارات شعرية لسيميك مِنْ جُلّ دواوينه، صدرت بالعنوان نفسه في جزأين عن «دار خطوط وظِلال» (عمّان ـ 2022)

تاريخ

الصهيونيّة والنازيّة... تعاون وتكامل أدوار

قد يكون كتاب اليساري البريطانيّ المتحدّر من أصول يهوديّة توني غرينستاين عن «الصهيونيّة أثناء الهولوكوست» (2022) ادقّ سجلّ تاريخيّ موثّق حول موقف الحركة الصهيونيّة وسياساتها في فترة ما بين الحربين العالميتَيْن. يكشف المؤلّف عن حجم التوظيف السياسيّ الرخيص من قبل القادة الصهاينة لعذابات يهود اوروبا خلال الحرب العالميّة وتعاون قادتهم مع النازيّة لمصلحة تدعيم المشروع الغربيّ بإنشاء دولة يهوديّة في فلسطين وفقاً لادّعاءات دينيّة مسيحيّة متطرفة وعلى حساب سكان المنطقة. قراءة ضروريّة لفهم السياق التاريخي والإمبرياليّ لسرديّة الهولوكوست كما تطرحها دولة الاحتلال اليوم، وتستعيدها الأذرع الصهيونيّة عبر العالم كغطاء اخلاقيّ لمحاربة كل تشكيك في شرعيّتها او انتقاد لسياساتها في التطهير العرقيّ والفصل العنصري والاستيطان الممنهج

سعيد محمّد

تطرح الدولة العبريّة نفسها بوصفها حارسة الذاكرة اليهوديّة المرتبطة بالهولوكوست، وتعمل ماكينة دعايتها بلا توقّف لإظهار الحركة الصهيونيّة كأنّها كانت تحاول إنقاذ يهود اوروبا من النازيّة، وشريكة للحلفاء الغربيين في محاربة الفاشيّة عشيّة الحرب العالميّة الثانية. لكنّ توني غرينستاين، المناضل اليساريّ المعمّق الذي ولد لأسرة بريطانيّة من اليهود الأرثوذكس، يرى أنّ ذلك محض تزوير، لا بل قلب تامّ للحقائق. لذلك، قرّر أن يضع كتاباً أستهلك من عمره سنوات بوثّق الدور الذي لعبته الحركة الصهيونيّة خلال تلك المرحلة، نقيضاً للرواية الملفّقة التي تبنّاها الثلاثي الإسرائيلي- الأميركي- الألمانيّ. وبالفعل، صدر الكتاب حديثاً من دون ناشر لأسباب معروفة، إذ لا يجرؤ أي تاجر كتب بريطانيّ أو أميركي على نشر ما يناهض سرديات الحركة الصهيونيّة.

الكتاب المثير بكل تفاصيله حمل عنوان «الصهيونيّة أثناء الهولوكوست: توظيف الذاكرة كسلاح في خدمة الدولة والأمّة» (Zionism during the Holocaust: The weaponization of Memory in the service of the State and Nation)، مشيراً إلى أنّ الحركة الصهيونيّة في فترة ما بين الحربين، سعت بكل طاقتها إلى ضمان أن محنة يهود أوروبا تحت بساطير النازيين، لن تصرف الانتباه عن الهدف الرئيس للصهيونية في إطلاق دولة يهودية في فلسطين بعد الحرب. هكذا، عملت مع كل الأطراف، بمن فيهم النازيون أنفسهم، على توظيف تلك العذابات كي يجد أصحابها في النهاية أن طريق النجاة الوحيد المفتوح أمامهم ينتهي في القدس، لا في أيّ مكان آخر.

يزعم غرينستاين أن الهولوكوست لم تكتسب أي أهمية في الدعاية الإسرائيلية أو الصهيونية إلا بعد محاكمة أدولف أيخمان (في عام 1961) الذي اختُطف من الأرجنتين واقتيد إلى الكيان العبري حيث أُعدم. كانت عمليّة الاختطاف والمحاكمة أقرب إلى مسرحيّة صوريّة نُفّذت بعنايةٍ لأغراض البروباغندا. وبما لم يكن أيخمان بريئاً، وقد يتحمل قدراً من المسؤولية عن جانب من الهولوكوست، لكنّ القضاة الإسرائيليين كما لو كانوا يحمّلونه المسؤولية الكاملة عن الهولوكوست، ويبرئون ضمنياً أدولف هتلر والقيادات النازية العليا. تلك المحاكمة، كما يقول الصحافي الإسرائيلي توم سيفف، لم تكن حقاً تتعلق بأيخمان، بقدر ما كانت مهمة للدولة العبريّة من أجل محو فضيحة رودولف كاشتنر التي كُشفت (خلال المداولات القضائيّة لمحاكمة مالكيل غرونيوالد) عن تامر صريح لقيادات الحركة الصهيونيّة مع النازيين. كانت الحكومة الإسرائيلية قد رفعت دعوى عام 1950 ضد غرونيوالد بتهمة التشهير بعدما اتهم كاشتنر علناً بالتعاون مع النازيين، علماً أنّ كاشتنر كان الزعيم الصهيوني في هنغاريا خلال الحرب العالمية الثانية، وفي «إسرائيل»، وعضواً بارزاً في «حزب مابای». وجدت المحكمة وقتها أن غرونيوالد قال الحقيقة، وبرّأته من تهمة التشهير، لكنّها ضمنياً ادانت كاشتنر، ومعه الحركة الصهيونيّة برمّتها. لم ينجح اغتيال كاشتنر لاحقاً في تغييب الدور القذر الذي لعبته قيادات الصهيونيّة وقتها ضد يهود أوروبا. لقد كان تصوّر هؤلاء عشيّة الحرب (العالمية الثانية) وأثناءها أن المذبحة اليهودية يمكن أن تكون بمثابة رافعة سياسية تخدم الأغراض السياسيّة للصهيونيّة، وأنه، كما نُقل عن بن غوريون، «من مصلحتنا استخدام هتلر لبناء دولتنا». ولذلك، فإن ماركة الهولوكوست ببساطة لم تكن رائجة، واتّهم بالشيوعية كلّ مَن يتحدث بشأنها - وهو أمر مشين في أزمنة الخوف المكارثيّ في الخمسينيات - لأنها لم تتوافق بداية مع المصالح الإمبريالية الأميركيّة في تأسيس دولة يهوديّة في فلسطين.

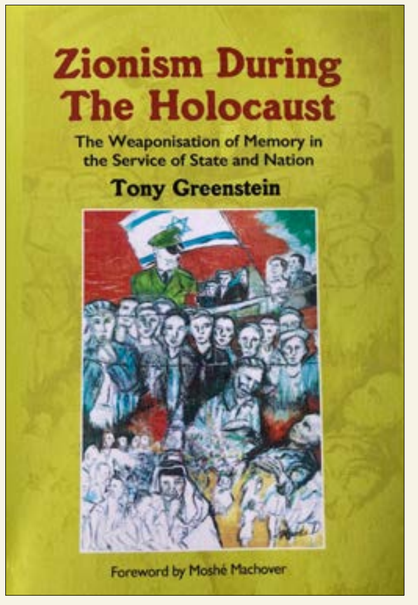

خشيت الحركة الصهيونية أيّ حلّ لمسالة اللاجئين اليهود، لا يتعلق بترحيلهم إلى فلسطين

لكن في وقت لاحق، اكتشف الصهاينة القوّة الدعائيّة الهائلة الكامنة في فكرة الهولوكوست، فتلاقت جهود إسرائيليّة وأميركيّة وبريطانيّة وألمانيّة على تحويل ماساة اليهود وغيرهم خلال الحرب الكبرى إلى سلاح ثقيل للإمبريالية، ودرع لإقصاء كل من يعادي الدولة العبريّة. لقد أعيد تدوير الضحايا اليهود لخدمة تدعيم تحصينات قلعة إسرائيل المزروعة في قلب الشرق، وأصبحت الدولة العبريّة دور الحركة في إطار المقاومة اليهوديّة ضد النازيين، إذ يروّج لمشاركة منتسبي الصهيونية في تنفيذ أعمال معادية للنازيين على أكثر من جبهة، لكنّ الحقيقة أن الأفراد القليلين من أعضاء الحركة الذين قاتلوا فعلاً، فعلوا ذلك تمرداً على التعليمات التي تلقّوها من قياداتهم بعدم المشاركة في المقاومة، وكان عليهم، بدلاً من ذلك – وفق التعليمات - أن يحاولوا الوصول إلى فلسطين حيث الحاجة إليهم ماسّة. لقد ترأس الجاليات اليهودية عبر أوروبا خلال الحرب أعضاء من الحركة الصهيونية، وهؤلاء تعاونوا - أو أُجبروا على التعاون - مع الحكومات التي هيمن عليها النازيون في جمع الذهب والأثاث من منازل اليهود الفارين، وإعداد قوائم بأسماء المناسبين لمعسكرات العمل. ولذلك، فإن مشاعر معظم الجماهير اليهودية تجاه الفكرة الصهيونية كانت سلبيّة للغاية. كان هؤلاء الصهاينة خونة لأهلهم وجنوداً لمشروع إمبريالي ليس يهودياً أصلاً، بل نتاج مطابخ المصنع الاستعماري الصليبيّ المتطرّف في الفضاء الإنغلو ساكسونيّ. حاول بعض الناشطين الأوروبيين اليهود الذين هربوا لاحقاً إلى «إسرائيل»، فضح تلك الممارسات الخيانية لقادة الحركة الصهيونيّة، إلا أن أصواتهم كُتمت وزوّرت مذكّراتهم المنشورة، وأخفيت خطاباتهم العلنية من الأرشيف.

ومع ذلك، فإن أكبر تزوير يبقى هو إعادة توظيف الهولوكوست لأغراض السياسيّة. لقد شرعت إسرائيل – دولة الحركة الصهيونيّة – باستخدام الهولوكوست بصفاقة ضد أعدائها. تحدث آبا إيبان، وزير الخارجية الإسرائيلي السابق، مثلاً عن الخط الأخضر بين الضفة الغربية وحدود «إسرائيل» لعام 1948 على أنه «حدود أوشفيتز». أما عن علاقة الفلسطينيين الضحايا بالهولوكوست، فذلك ليس بالأمر المهم. لاحقاً، تم اختطاف مصطلح معاداة السامية (القروسطيّ) للخلط بينه وبين معاداة الصهيونية التي هي ظاهرة حداثيّة بامتياز. إن التعريف الصهيوني لمعاداة السامية الذي يروّج له التحالف الدولي لإحياء ذكرى الهولوكوست اليوم ويتبناه الإعلام الغربي وحكومات وأحزاب غربيّة لا علاقة له بالعداء لليهود كيهود. لقد أصبحت معاداة السامية اليوم تهمة معلّبة جاهزة تُلقى في وجه كل معارضة لما تفعله إسرائيل من جرائم بحق الفلسطينيين وجيرانها العرب.

أهميّة هذا الكتاب للسجلّ التاريخيّ لا جدال بشأنها، ومعرفة غرينستاين الموسوعية بموضوعه وقدرته على حشد التوثيق، تمنحانه مصداقية لا غبار عليها. لكنّه في الإطار العربيّ يكتسب أهميّة استثنائيّة كبرى كأداة لفهم منهجيّات العدو الصهيونيّ وتفكيك ادّعاءاته ودحض حججه، والتجويع البريطانيّ المتعمّد للبنغال في عام 1942 حيث قضى خمسة ملايين شهيد بأوامر مباشرة من «البطل القومي الرمز» ونستون تشرشل لا يكاد يسمع بها أحد.

يشير غرينستاين إلى بعض جوانب من استخدام إعادة صياغة تلك السردية في ما يرتبط بالحركة الصهيونيّة مثل وكيل تحصيل تعويضات عنهم. وهكذا أبرم قادة المانيا الجدد، الذين ربّتهم المخابرات المركزيّة الأميركيّة، صفقة للتعويض عن ذنب النازيين مقابل إعادة استيعاب المانيا (الغربيّة) في التحالف الغربيّ الذي تقوده الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفياتيّ، تضمنت تسليح الجيش الإسرائيلي وتزويد تل أبيب بالغواصات والتكنولوجيا النووية وملايات الدولارات. لقد كانت الهولوكوست بهذا المنطق جيّدة لمصلحة المجهود الحربيّ الغربيّ خلال الحرب الباردة، وأصبحت حجر الزاوية في إعادة صياغة الرواية التاريخيّة حول الحرب العالميّة الثانية من صراع إمبرياليات متنافسة، استكمالاً لذات الصراع في الحرب العالمية الأولى، إلى مقارعة بين تحالف الديمقراطيّات والفاشيست الأوغاد.

في هذه السردية التاريخيّة الملفّقة، ينقسم العالم إلى أخيار وأشرار. ولذلك، فإن النازية مجرمة ويتم التشنيع بها بسبب الهولوكوست، لكن مذبحة يهود أوروبا تعريةً كل تلك المبادرات التي يتقدّم صهاينة العرب المرتبطون بأنظمة السلالات الحاكمة للتطبيع مع الكيان الشاذ أو القبول بمشاريع الحلّ الصهيوني - تعدّدت ألوانها - لدولة واحدة مع المستوطنين الغزاة. ولذا، لا بد من ترجمته إلى العبريّة بشكل عاجل، ونشره على أوسع نطاق.

رواية

أليف شافاك اكتشفت الخلطة السحرية

سلوى دبوق

تستحضر روايـة «جزيـرة الأشجـار المفـقـودة» (2021) للكاتبة التركية الشهيرة أليف شافاك (صدرت أخيراً عن «دار الآداب» - ترجمة أحمد حسن المعيني) حقبة ماضية من تاريخ قبرص، تحكي عن تصاعد التوترات بين اليونانيين والأتراك خلال الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، لكي تتحول إلى حرب أهلية حقيقية عام 1974. عبر صوتين سرديين مختلفين، تقض علينا الكاتبة قصة الانقلاب الذي نفّذته مجموعة من الضباط القبارصة اليونانيين ضد رئيس الجمهورية بهدف ضم الجزيرة لليونان. أمر دفع تركيا للتدخل عسكرياً وبلورة تقسيم الجزيرة إلى معسكرين، يوناني في الجنوب وتركي في الشمال، إضافة إلى تقسيم العاصمة نيقوسيا إلى جزءين يفصل بينهما الخط الأخضر للأمم المتحدة، بعيداً عن الخوض في الكثير من التفاصيل حول السياق التاريخي، تحكي الرواية عن المحنة والصدمة اللتين عاشهما المواطنون القبارصة في تلك الفترة من خلال قصة حب ممنوعة بين كوستاس الشاب اليوناني المسيحي وديفني الصبية التركية المسلمة.

تفرض الأحداث الدموية على كوستاس الهرب إلى لندن، فيفقد أثر ديفني التي تبقى في قبرص لسنوات طويلة. لكنهما يلتقيان مرة أخرى في بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وقد أصبحا في الخمسين من عمرهما. تبدأ «استوعب» كل منهما الماضي بطرق مختلفة، لكنّ الانجذاب المتبادل بينهما بقي يستعر كنار تحت الرماد، فيتزوجان ويتنقلان للعيش في لندن وتكون ثمرة هذا الزواج فتاة تدعى ادا. بعد ستة عشر عاماً، تتساءل الابنة المراهقة، التي نشأت في إنكلترا، عن ماضي والديها المؤلم، اذ إنها لا تعرف شيئاً تقريباً عن قبرص. مع ذلك، فهي تشعر أن هذا هو المكان الذي يكمن فيه المفتاح لفهم العديد من الظواهر: صمت والدتها واكتئابها الدائم، وغياب خالتها مريم وأقاربها، وحب والدها ورعايته لشجرة التين المزروعة في الحديقة...

تسعى الرواية لمعالجة جراح الماضي ونزيف الذاكرة من خلال ثيمة الحداد والبحث عن جثث المفقودين جراء الحرب الأهلية لدفنها بطريقة لائقة، وربما لدفن العداوات والبغضاء التي سادت بين أبناء الشعب الواحد. تعيد «جزيرة الأشجار المفقودة» الأمل إلى كل الذين نُفوا من بلادهم أو هُجّروا بأن بمقدورهم غرس جذور جديدة في وطنهم الجديد واستكمال حياتهم المبتورة. تكمن اللمسة المميّزة للكاتبة في اختيارها شجرة التين القبرصية، لتروي بضمير المتكلم فصولاً عدّة من الرواية. فشجرة «الفيكس كاريكا» قضت فترة طويلة من حياتها في قبرص، تحديداً في «حانة التينة السعيدة» في نيقوسيا، وكانت شاهدة على علاقات الحب والصداقة والجيرة. لكن بعد تازم الأوضاع الأمنية ومقتل مالكي الحانة يوسف ويورغوس، تمرض التينة وتبدأ بالاحتضار. لحسن الحظ، يعود كوستاس من لندن في بداية الألفية الجديدة ويذهب إلى الحانة التي شهدت قصة حبه لديفني، فيجد التينة ويحاول معالجتها ثم يستل قُصاصة من أحد أغصانها ليزرعها في حديقة منزله في لندن لتبدأ حياة جديدة هناك.

تحكي الكاتبة على لسان شجرة التين الحكيمة عن البيئة القبرصية وتراث الجزيرة، وهذا ما شكّل غِنى إيكولوجياً حقيقياً للرواية وللقارئ الذي سيكتشف أنواعاً عديدة من النباتات والأشجار ويتعرف إلى أصول شجرة التين والخروب وشجيرات الوزال الشوكية والطيور المغرّدة والفراشات التي تملأ الجزيرة. كما سيتعرف إلى كيفية تواصل الأشجار مع النحل والنمل، وكيف تبعث التينة إشاراتٍ عبر شبكةٍ من الفطريات في التربة، لتنُذر جاراتها من خطر وشيك. لقد أضفت التينة بصفتها أحد الرواة نوعاً من الواقعية السحرية على الرواية، فهي شجرة مباركة ومرهفة الإحساس تفهم لغة الإنسان وتقع في الحب، كما تفهم لغة الحشرات والخفافيش، وتُعلّق على الأحداث السياسية وتنتقد مواقف البشر وتستغرب حروبهم ووحشيتهم. تتمتع التينة أيضاً بروح النكتة وتمدح نفسها مدَّعية أنّها هي شخصياً التي تسبّبت بخروج آدم وحواء من الجنة: «لقد حان الوقت لتصحيح الفكرة الجاهلة هذه، فادم وحواء إنما انقادا إلى جاذبية التينة، فاكهة الإغراء والرغبة والشغف، لا التفاحة المقرّفصة».

لكنّ هناك نقاطاً عدة أضعفت الرواية، منها قصة الحب المستهلكة بين شاب وفتاة ينتميان إلى قوميتين مختلفتين ومعارضة الأهل لعلاقتهما، وافتقاد الشخصيات للعمق الكافي، ما يمنع القارئ من التعاطف معها، والقفز من حقبة زمنية إلى أخرى من دون التمهل في إعطاء تفاصيل كافية عن مصير الأبطال طوال تلك السنوات. على سبيل المثال، غاب كوستاس أكثر من عشرين سنة ولكن عندما عاد، استأنف هو وديفني علاقتهما كأن هذا الغياب الطويل لا قيمة له، ولم يترك أي أثر فيهما وهذا شيء يصعب تصديقه.

من ناحية أخرى، تُصر شافاك على اختيار موضوعات تستأثر باهتمام القارئ الغربي. بعد النجاح العالمي الذي حقّقته في روايتي «قواعد العشق الأربعون» و«القبطة إسطنبول»، اكتشفت الكاتبة الخلطة السحرية التي تفتن القارئ الغربي، ألا وهي الكتابة عن الشرق بعيون شرقية، لكن بأسلوب غربي. لذا تعيد تدوير مواضيع التسامح والتعايش وحقوق الأقليات والمنبوذين في إنتاجها الأدبي لتدافع عن قضايا أثيرة لديها. في هذه الرواية، أقحمت قصة حب بين رجلين في السياق الروائي تماشياً مع الموجة العالمية السائدة، فحكت لنا عن يوسف التركي ويورغوس اليوناني مالكَي «حانة التينة السعيدة» وجعلت من عدم تقبل بعض سكان الجزيرة لميولهما العاطفية سبباً لمقتلهما. من المآخذ الأخرى على الكاتبة أنها تطلق تسمية «إسرائيل» على فلسطين المحتلة في أحد المقاطع، ولكن في مقاطع أخرى، تذكر فلسطين وغزة كما لو أنها تريد أن ترضي جميع أطراف الصراع. وضعت «البقلاوة الفلسطينية» و«البقلاوة الإسرائيلية» جنباً إلى جنب في لائحة الطعام التي تقدمها «حانة التينة السعيدة»، لأنّ المستوطنين القادمين من أصقاع الأرض اعتادوا على صنع الكنافة والبقلاوة في بلادهم، ولم يسرقوا هذه الأطباق من شعوب منطقتنا! عدا ذلك، تميل الكاتبة إلى رسم صورة سحرية أكزوتيكية عن الشرق حيث تسود رائحة البخور والصندل والعنبر. أما أهل الشرق، فالكثير منهم، كالخالة مريم، يعتنقون الخرافات ويؤمنون بالجن وتزاور الأرواح ويقصدون العرّافات.

في المحصّلة، يمكن القول إنّ الفصول الروائية المخصّصة للتينة كانت مميّزة ومبتكرة. كما ازدانت الرواية بلغة شاعرية أبدع المترجم في نقلها إلى العربية. والجدير بالذكر هنا أنّ الكاتبة أجرت أبحاثاً معمّقة عن عالم النباتات كي تتمكن من أنسنة الأشجار وسرد تفاصيل دقيقة عن بنيتها وتواصلها مع عناصر النظام البيئي، وقد نجحت في إعادة خلق البيئة القبرصية بطيورها ونباتاتها وروائحها على المستوى السردي، لكنها كانت أقل نجاحاً في بناء الشخصيات ومعالجة بعض الأحداث.

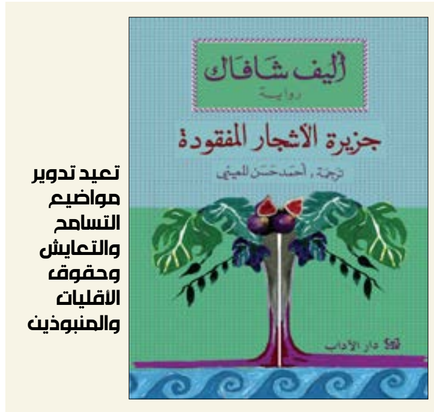

تعيد تدوير مواضيع التسامح والتعايش وحقوق الاقليات والمنبوذين

خليل الرز: ذات تتشظّى بين التواريخ والأزمنة

دعد ديب

على مساحة الفضاء الداخلي للذات، ينسج خليل الرز التداعيات التي تدور في أعماقه، حواره مع نفسه، وأحوِلات تفاعله مع الآخرين، مع ما يحدث ومع ما يمكن أن يحدث عبر تاويلاته وفهمه لطبيعة الأشخاص من حوله، إضافة إلى أسلوب فهمه لذاته وما يستوجب عليه من سلوك يخفق في تحقيقه غالباً في روايته العاشرة «منديل بالفراولة» (منشورات «ضفاف» و«الاختلاف»، 2022). هنا نتعرف إلى مجتمع يحوي خليطاً من السوريين والأذريين في موسكو من خلال علاقة الراوي السوري المتلبسة برابا الأذرية. نطلّ على عالمه الداخلي الذي يمتد بعيداً عن حركة الواقع في حركة نشيطة لذهنه يسافر فيها خلف مسافات وأمكنة وبلدان وأقوال تسلط الضوء على ما يجري في أعماقه عبر سرد أقرب لتيّار الوعي الذي فتحت الباب له فيرجينيا وولف. إذ يقول في أحد سفرياته الذهنية: «كنت غالباً، من أجل مضاعفة إحساسي بالتضحية في سبيل رابا، أسافر إليها في قطارات كثيرة تنطلق بي في وقت واحد من موسكو ولينينغراد وريغا وفيلنوس وكييف وخاركوف وطشقند والماتا، ومن مدن كثيرة أخرى لا أعرفها عملياً إلا على الخريطة. وكنت أصل إلى باكو في وقت واحدٍ رابا، وأحياناً في أوقات مختلفة، فاصل بالقطار القادم من موسكو في منتصف الليل، ثم بعد عشرين دقيقة أصل بثلاثة قطارات قادمة من كالينين ومن تالين ومن لينينغراد، ثم في الواحدة والنصف صباحاً أصل من تبليسي ويريفان. وفي بعض الليالي كنت أظل أصل إلى باكو». بعيش مكابدات من تعب وجوع واشتياق افتراضي داخل نفسه، كشكل من جد الذات لإثبات عدم نذالته في الدفاع عن حبه وحماية حبيبته.

الراوي الذي لم نعرف له اسماً على امتداد العمل، يتوزع في تداعياته بين عشقه لرابا المتزوجة، وصداقته لسالم وعلاقته العابرة بنونا التي يلتقيها مصادفة في أحد المحطات. يبدو متهكماً من ذاته العاجزة عن الفعل المطلوب في المواقف الحرجة. يظهر سلوكه الواقعي وموقفه المتخاذل في حماية الحبيبة وتلكؤه في الدفاع عن حبه، مؤكداً بذلك على البعد النفسي الذي يلازمه في كل حركة، بمعنى أن يتنافس على التعلق بامراة مرتبطة برجل آخر. هل الأمر يزيد الرغبة في التفوق أم هي عقدة انتصار ذكورية؟ حسّ المنافسة الذكوري يجعله يقترب دائماً من حبيبة ترتبط بآخر في حالتي رابا ونونا. وإذا جعل دمية رابا ترافقه كنوع من الالتزام والوفاء لحبيبته، لكنه لم يلتزم بالمعنى الداخلي بهذه أو تلك. لذا نراه يسقط على الدمية القماشية هواجسه وانفعالاته وتانيب الذات الذي يعيشه ضمن احتمالاته العديدة لمبررات سلوكه وسلوك الآخرين. ففي لقائه مع نونا وعلاقته برابا وإشكالية علاقاتها مع زوجها، تنمو بقية الحكايات.

من حكايته الأولى تتولد حكايات ضمن شبكة علاقاته، فهو الصحافي في القسم العربي لمجلة أنباء موسكو، تربطه بزميله سالم صداقة خاصة تفتح مجالاً لحوارات عميقة برزت في إيضاح وجهة نظره بالجمال. إذ يفرق بين الجمال الدارج الذي يلحظه ويعجب به الجميع، والجمال غير الدارج أي الاستثنائي الذي لا يراه ولا يكتشف ملامحه إلا قلة ترى أعمق وأبعد من الملامح المتاحة للجميع. يشبّه ذلك بجماليات الخطوط العربية، فالخط الكوفي هو الأكثر لفتاً للنظر وأول ما تقع عليه عين القارئ في لحظ الزخرفة قبل المعنى. أما خط الثلث فهو لا يغيّب المعنى كما لا يخضع له، بل يحوله كأداة للتعبير عن معنى آخر مضمر لا يتبدى بسهولة. يطل بعدها على قصة الشاعر الصوفي عماد الدين نسيمي (1369 - 1417) في إشارة لـ «العقيدة الحروفية» المجهولة لدى أغلبنا في تفاسيرها الباطنية التي تقول بأنّ «العبادة هي اللفظ، وبه يمكن للإنسان الاتصال بالله، والمعرفة هي أيضاً معرفة الألفاظ لأنه مظهر الموجودات، واللفظ لذلك مقدم على المعنى». ومبرر ذكر هذا المتصوف، هو محاولة رابا إيجاد قواسم مشتركة بين الشعب الأذري والسوري. وعلى الرغم من أن نسب عماد الدين نسيمي موزع بين التركية والأذرية والتركمانية نظراً إلى الشعبية العالية التي تمتع بها، إلا أنّ الأكيد أنه مات ودفن في حلب بطريقة قاسية، إذ سلخ جلده قبل أن يعدم شنّ المتصوفين في ذلك الزمن.

شخصية غارقة في ذاتها تتأمل عالم الكائنات الخاص

العتبات النصية تمتد على مساحة النص، فالعنوان «منديل بالفراولة» يحمل دلالة عشق منذ أن تركت له رابا ثلاث حبات منها وتحتها قصاصة لموعد غرامي، ما يجعل الكاتب يؤكد على المحمول الثقافي للفراولة في إشارات عدة راوحت بين معاني العفة والإغواء بدءاً من دلالة الثالوث المقدس لورقة الفراولة الثلاثية، وجرح المسيح في بتلات زهرتها الخمس، وصولاً إلى أعمال أدبية عدة مثل «النفوس الميتة» لغوغول ورواية «الدخان» لإيفان تورغينيف وفي ثلاثية الهولندي هيرونيموس بوش حيث بدأت الفراولة تأخذ معانيها الخليعة للهوى والإغواء، بعيداً عن المعاني الفاضلة.

الراوي هو الشخصية الأساسية التي تتفاعل الأفكار والأحداث في داخلها. شخصية غارقة في ذاتها، تتأمل عالم الكائنات الخاص من جماد وحيوان ونبات، فللأشياء أرواح، البنات: الحيوانات؛ الشوارع؛ إلى درجة نراه يفكر بحنان وهو ينتظر ليلتقي كلباً اعتاد رؤيته عندما ينزل عن الدرج ويتمسح به، في اهتمام بالغ بتفاصيل الحياة الصغيرة والحميمة، غير آبه بالتسميات والمصطلحات الكبيرة، أو بالقضايا المصيرية العاجلة على حساب الحياة المقدسة للإنسان، فالإنسان أولاً وبعده تاتي الأمور الأخرى.

جاءت النهاية لتؤكد ما أتى له الكاتب في العمل. نهاية مفتوحة على احتمالات عدة. إذ يستغرق البطل في عالمه الذاتي والحكايات والمواقف غير المحسومة بداخله ومشاعره المتضاربة. يظل مع نفسه فقط، ذاته المتشظية عبر الشخوص والزمن والتاريخ.

أوراق

الأصل التصويري لحرف الراء السامي

زكريا محمد *

يسمّى حرف الراء في العبرية «ريش» reš، وفي الحبشية الجعزية «رِيَس» re’es وفي العربية «راء». هناك ما يشبه الإجماع على أن الأصل التصويري (الأكروفوني) له هو الرأس البشري، وأن الاسمَين العبري والحبشي يعكسان هذه الحقيقة. بذا فحرف الراء من الحروف التي يكشف اسمها عن أصلها التصويري ببساطة ووضوح عند الغالبية الساحقة.

لكن المشكلة تكمن في الاسم اليوناني للحرف: «رهو» rho. وهي صيغة غريبة، ليس لها معنى في اليونانية، ولا يعرف من أين أتت. لكن من الواضح أنها ليس لها علاقة بالرأس البشري. أي أنها ليست تحريفاً لكلمة «ريش، ريس، رأس». وفي اعتقادي، فإنه من دون حل لغز الاسم اليوناني لحرف الراء، فإننا لن نتوصل إلى فهم أصيل لقصة اسم هذا الحرف وتاريخه وأصله التصويري. بذا، فسوف يكون تركيز هذه المادة على الاسم اليوناني خاصة، أي على الشاذ أساساً.

وفي البدء، لا من تقديم ملاحظة أساسية على الأشكال الأقدم لحرف الراء. وهي ملاحظة قد تكون مدخلنا إلى حل اللغز. هذه الملاحظة تشير إلى انقسام هذه الأشكال إلى قسمين:

الأول: تكون العين فيه ظاهرة في الوجه، أو أنها تكون أحياناً على شكل نقطة تمثل العين، أو البؤبؤ ربما. وفي هذا القسم يكون شكل الرأس فيه واضحاً بشكل كبير، كما في الصورتين أدناه لنقش لوح تل بلاطة (شكيم) من فلسطين (إلى اليمين) من القرن السابع عشر أو السادس عشر ق. م، ونقش خنجر لكيش من فلسطين أيضاً ويعود إلى القرن السادس عشر ق.م أيضاً.

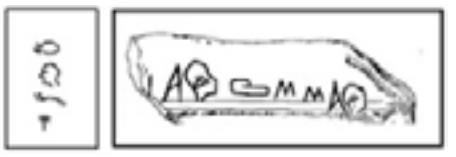

(إلى اليمين: نقش تل بلاطة، وإلى اليسار نقش خنجر لكيش. لاحظ العين الواضحة لحرف الراء الذي يتمثل في رأس بشري فيهما)

الثاني: لا تكون فيه عين، ولا يكون شكل الرأس البشري المفترض فيه واضحاً تماماً، كما في الصورة أدناه للحرف في عدد من النقوش السينائية.

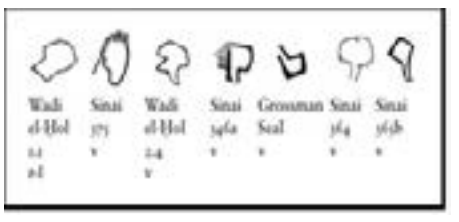

(حرف الراء في عدد من النقوش السينائية من هاملتون)

واعتقادي أنّ هذا الاختلاف حاسم في محاولتنا للتعرف على الأصل التصويري لهذا الحرف، وعلى فهم أسمائه المختلفة. فمن الصعب مثلاً اعتبار الأشكال الأربعة في الصورة أدناه تمثيلاً لرأس بشري.

كذلك من الصعب قبول فكرة أن الراءات الثلاث في «نقش وادي الهول» أدناه من القرن التاسع عشر ق.م في مصر تمثيل للرأس البشري في غياب العين أو البؤبو

(راءات نقش وادي الهول بلا أعين)

بناء عليه، أقدم هذين الفرضين:

أولاً: أن الأشكال التي تكون فيها عين هي تمثيل للرأس البشري فعلاً، في حين أن التي ليس فيها عين، ولا تميل إلى أن تشبه الرأس البشري كثيراً، ليست تمثيلاً للرأس البشري بل تمثيل لشيء يسمى «رهو» احتفظت لنا اليونانية باسمه.

الثاني: أن هذه الكلمة استعارتها اليونانية من لغة أخرى. دليل ذلك أن كلمة «رهو» لا تعني شيئاً في اللغة اليونانية.

الرهو

لا توجد، بحسب علمي، جدالات كافية بشأن أصل كلمة «رهو» كاسم لحرف الراء في اليونانية. ويمكن القول إن الكلمة تجوهلت لأنها غامضة وصعبة. لذا، أود أن أقترح أنها على علاقة بالجزيرة العربية. وإذا استطعنا إثبات ذلك، فإنه سيسهل لنا فتح الطريق نحو حل مسألة العلاقة بين الأبجدية اليونانية، وأبجديات الجزيرة العربية، وعلى الأخص الأبجدية الجنوبية في اليمن. فقد لاحظ باحثون كثيرون تشابهاً ما بين الأبجدية اليمنية وبين الأبجدية اليونانية. هذا التشابه أدى إلى فرضية تقول بأنّ الأبجدية اليمنية مشتقة من الأبجدية اليونانية، ومستعارة منها. وهي مشتقة من فرضية أخرى تتبعها الغالبية، وتقول إن الأبجديات السامية الشمالية (الفينيقية والآرامية) أقدم من الأبجديات الجنوبية، أي أبجديات الجزيرة العربية، وأن الأخيرة بالتالي مشتقة منها.

ولو نجحنا في إثبات أن الاسم «رهو» rho قادم من الجزيرة العربية، فإن هذا سيشكّل ضربة لهذه الفرضية. إذ كيف تكون الأبجدية اليمنية مستعارة من اليونانية في حين أن بعض أسماء الحروف اليونانية مستعارة من الجزيرة العربية؟ فوق ذلك، فإن إثبات الجزيرة العربية كأصل للاسم «رهو» سيدفع إلى فرضية أخرى معاكسة تقول إن الأبجدية اليونانية هي التي اشتقت من أبجديات الجزيرة العربية لا العكس، أي أن الأمور ستنقلب على عقب.

أما فرضيتي فتقول إنّ «رهو» اليونانية هي الصيغة المذكرة لكلمة «رهوة» في العربية. والرهوة هي الرابية الصغيرة بحسب القواميس العربية: «الرهوة: الرابية تضرب إلى اللين وطولها في السماء ذراعان أو ثلاث، ولا تكون إلا في سهول الأرض وجلدها ما كان طيناً ولا تكون في الجبال، والجمع رهاء». يضيف المصدر ذاته: «الرهوة: شبه تل صغير يكون في متون الأرض وعلى رؤوس الجبال، وهي مواقع الصقور والعقبان» (الزبيدي، تاج العروس). ويزيد ابن عباد: «تل صغير في متن من الأرض أو على جبل» (الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة).

إذن، فالرهوة تلة صغيرة، ارتفاعها عدة أذرع، تكون في أرض مستوية غالباً، أو في رؤوس الجبال أحياناً في ما يبدو. ولم يعد اسم هذا التضريس مستعملاً الآن. لكن يبدو أنه هو ذاته الذي صار يسمى «الموائد الصخرية» في هذه الأيام. وتتكون الموائد الصخرية من صخرة شبه مستديرة من الأعلى، ولها عنق رفيع نحتته الرياح وعوامل التعرية الأخرى وحتّته. وهي بذلك تشبه فطراً ضخماً في شكلها. وهي شائعة الوجود في الجزيرة العربية. وإليك أدناه نماذج منها.

(مائدة شرث شرق العلا)

(مائدة أم رقيبة شرق مركز أبو راكة)

(مائدة صخرية من الجوف اليمني)

لكن لدينا نماذج قليلة من الرهوات التي تكون في قمة جبل أحياناً. وهو مصداق لما نقله الزبيدي: «الرهوة شبه تل صغير يكون في متون الأرض وعلى رؤوس الجبال». لكن وجودها في قمم الجبال نادر في ما يبدو كما نقل الزبيدي عن مصدر آخر: «ولا تكون في الجبال».

(مائدة في جبال كبد جنوب شرق محافظة تيماء)

ونظرة واحدة إلى صور حرف الراء التي بلا أعين تكفي لكي يقتنع المرء بالشبه الكبير بينها وبين الموائد الصخرية (الرهوات).

فهناك قمة تشبه الرأس، لكن من دون تفاصيل محددة مرفوعة على عنق نحيل. والعنق الطويل نسبياً حاسم هنا. لذا سمّيت واحدة من الموائد التي عرضناها باسم «أم رقيبة»، أي ذات الرقبة. عليه، فلا يتعلق الأمر بتلة بالضبط كما تقول القواميس العربية، بل يتعلق بصخرة كبيرة نحتتها الطبيعة بحيث تبدو مثل الفطر.

انطلاقاً من هذا، يمكن الحكم بأنه كانت لدينا صورتان أصليتان لحرف الراء: واحدة تمثل رأساً بشرياً، وثانية تمثل رهوة، أو رهواً بالتذكير. أما مَن مِن هاتين الصورتين هي الأقدم، فلا يمكن الحديث بجزم. لكن بما أن نقش وادي الهول هو أقدم نقوش الأبجدية التي عثرنا عليها حتى الآن- وهو يعود إلى فترة تقع ما بين القرن التاسع عشر والعشرين قبل الميلاد- وبما أن حرف الراء فيه أقرب إلى الرهو لا إلى الرأس البشري، فإنه يمكن افتراض أن الرهو هو الاسم الأقدم لحرف الراء.

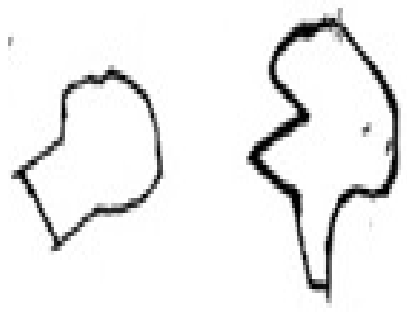

(راء وادي الهول)

وإذا صح هذا، يكون الاسم اليوناني «رهو» المستعار من لغات الجزيرة العربية هو الاسم الأقدم من أسماء حرف الراء كلها. أي أنه أقدم من الاسم العبري والحبشي. كما نستطيع أن نفترض أنه كان اسم حرف الراء وقتما كتب نقش وادي الهول.

وانطلاقاً من هذا، يمكن افتراض أنه جرى لاحقاً اتخاذ صورة أخرى لتمثيل حرف الراء هي الرأس البشري كبديل عن الرهو المرتبط بالبيئة الصحراوية الجبلية. وهذا نابع في ما نفترض من أن الاسم «رهو» صار في ما يبدو غير مفهوم بالنسبة إلى الناس التي لا تعيش في مناطق صحراوية. وفهم أسماء الحروف، وربطها بأشكالها المحددة، كان في البدء مسألة أساسية حاسمة في الكتابة الأبجدية. وإن صح هذا، فإن وجود أعين في صورة الحرف يشير إلى أننا مع صورة متأخرة كثيراً عن بدايات الأبجدية. بالتالي، فهي ثانوية مقارنة بصورة «الرهو» أي أنها لم تكن موجودة في اللحظة التي اخترع فيها اسم حرف الراء الأبجدي.

وهكذا نفترض أنه جرى تغيير صورة حرف الراء في الأبجديات السامية الشمالية لكي نصير مع «ريش» بدل «رهو» المائدة الصخرية. وهو ما يعني أن اليونانية عاندت ولم تغير، واحتفظت لنا بالاسم الأقدم للحرف، والمستعار من الجزيرة العربية. وهي بذلك فتحت لنا الباب لحل مسألة العلاقة بين الأبجدية العربية الجنوبية وبين الأبجدية اليونانية.

إذن، فاسم حرف الراء الأقدم يشير إلى الجزيرة العربية لا إلى فينيقيا. ويشير إلى الساميات الجنوبية لا الشمالية.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 14 Janvier 2023 no50
السبت 14 كانون الثاني 2023 العدد 50

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

أجانب في قصر العدل

[3-2]

(انجك بوليغاك ـ المكسيك)

سين جيم

حضور قضاة أجانب إلى لبنان لا يعني وصاية قضائية دولية، بل هو أمر عادي طالما يجري في إطار اتفاقيات دولية ترعى هذا الأمر. إذ لا يمكن لأيّ قاض أجنبي أن يقرر السفر إلى أيّ دولة إلا وفقاً لأحكام قانونية ترعى التعاون والتفاهم بين الدول. وحين يتعلق الأمر بمباشرة إجراء تقتضيه محاكمة أو تحقيقات تجرى في دولة معينة، يتم الاستعانة بما يُسمّى الاستنابة القضائية أو الإنابة القضائية

التعاون القضائي اللبناني الدولي والإنابة في التحقيق

الخيط الرفيع بين الالتزام بالاتفاقات الدولية والتدويل

صادق علوية

انضم لبنان إلى اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد بموجب القانون رقم 33 تاريخ 2008/10/16. وتنطبق أحكام هذه الاتفاقية على منع الفساد والتحري عنه وملاحقة مرتكبيه، وعلى تجميد وحجز وإرجاع العائدات المتأتية من الأفعال المجرّمة وفقاً لهذه الاتفاقية. ورغم أنه ليس في هذه الاتفاقية ما يبيح للدولة الطرف أن تقوم في إقليم دولة أخرى بممارسة الولاية القضائية وأداء الوظائف التي يناط أداؤها حصراً بسلطات تلك الدولة بمقتضى قانونها الداخلي، إلا أنها تضمّنت فصلاً كاملاً يحمل عنوان «التعاون الدولي»، ويتناول أصول الاستنابة القضائية التي تلزم الدول المتعاقدة بالتعاون وتقديم أقصى مساعدة ممكنة، في سبيل تحقيقاتها في إطار مكافحة الفساد. وقد حددت الاتفاقية المعطيات التي يقتضي أن يتضمّنها طلب المساعدة القانونية.

■ ما هي الاستنابة القضائية؟

الاستنابة القضائية هي طلب أو أمر تصدره جهة قضائية، في معرض تحقيق تقوم به، تطلب بموجبه من جهة أخرى مباشره إجراء قضائي معيّن تحت إشرافها. وقد تكون الإنابة القضائية محليّة أو خارج الدولة. إذ يمكن للسلطة القضائية في دولة أن تتوجّه باستنابة قضائية إلى السلطة المختصة في دولة أخرى لتطلب منها أن تجري، ضمن نطاق صلاحيتها، عملاً تحقيقياً أو غيره من الأعمال القضائية. ويُنظّم هذا الأمر بموجب اتفاقيات ثنائية بين دولتين أو بموجب معاهدات دولية.

■ هل بإمكان المعاهدات الدولية ان تتعارض مع احكام القانون اللبناني؟

ينص قانون أصول المحاكمات المدنية على أن المعاهدات الدولية تتقدم في مجال التطبيق على أحكام القانون العادي، وذلك عند تعارض أحكامها، بموجب نص المادة الثانية من قانون أصول المحاكمات المدنية الصادر بموجب المرسوم الاشتراعي رقم 90 الصادر في 16 أيلول سنة 1983. كما تعدّ المعاهدات والاتفاقيات الدولية الملحقة بالقانون جميع نصوص المعاهدات والاتفاقيات الدولية المتضمّنة قواعد خاصة بأصول المحاكمة أو باختصاص محاكم أو مراجع قضائية أو بأصول التنفيذ أو قواعد إثبات، وذلك وفقاً للمادة 1032 من القانون نفسه.

■ هل يمكن ان تكون للدولة ولاية قضائية على جرائم الفساد الحاصلة خارج اراضيها؟

تشمل الجرائم الأصلية الجرائم المرتكبة داخل الولاية القضائية للدولة الطرف المعنية وخارجها. غير أن الجرائم المرتكبة خارج الولاية القضائية للدولة الطرف لا تمثّل جرائم أصلية، إلا إذا كان السلوك ذو الصلة يعدّ فعلاً إجرامياً بمقتضى القانون الداخلي للدولة التي ارتكب فيها، وكان من شأنه أن يعدّ فعلاً إجرامياً بمقتضى القانون الداخلي للدولة الطرف التي تنفّذ أو تطبّق هذه المادة لو كان قد ارتكب هناك.

■ هل يمكن لقاض لبناني ان يقرر استنابة قاض اجنبي لاتخاذ إجراء تقتضيه المحكمة اللبنانية؟ وهل يجوز للمحاكم الأجنبية إنابة محكمة لبنانية؟

رغم أن إجراءات الإثبات تخضع للقانون القاضي، إلا أنه يعتدّ بإجراءات الإثبات التي تمّت في الدولة الأجنبية إذا كانت مطابقة لأحكام القانون اللبناني، وإن كانت مخالفة للقانون الأجنبي. ومن الجائز إنابة محكمة أجنبية لاتخاذ إجراءات إثبات يقتضيها نظر الدعوى. كما يجوز استنابة محكمة دولية أجنبية للقيام باستجوابه ويجوز للمحاكم الأجنبية إنابة المحاكم اللبنانية بإجراء عمل تحقيقي أو أي عمل قضائي آخر.

■ هل يقتضي ان يوافق لبنان على الاستنابات القضائية؟

الدول ملزمة بالتعاون مع السلطات القضائية في الدول الأخرى، ولا سيّما تلك التي تربطها معها اتفاقيات ثنائية أو التي ترتبط في ما بينها بموجب معاهدات دولية.

■ ما هي اصول التعاون الدولي في إطار مكافحة الفساد؟

تتعهد الدول الموقّعة على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، بما فيها لبنان، بالتعاون الدولي وفقاً لأحكام الفصل الرابع من الاتفاقية، ولا سيّما:

● بمساعدة بعضها البعض، في التحقيقات والإجراءات الخاصة بالمسائل المدنية والإدارية ذات الصلة بالفساد.

● المساعدة القانونية المتبادلة في التحقيقات والملاحقات والإجراءات القضائية المتصلة بالجرائم المشمولة بهذه الاتفاقية.

● بتسليم المجرمين وإلا يجب عليها القيام، بناءً على طلب الدولة الطرف التي تطلب التسليم، إحالة القضية دون إبطاء لا مسوّغ له إلى سلطاتها المختصة بقصد الملاحقة، أو أن تنظر، بناءً على طلب من الدولة الطرف الطالبة، في إنفاذ العقوبة المفروضة بمقتضى القانون الداخلي للدولة الطرف الطالبة أو ما تبقى منها.

● تبادل المعلومات التي تساعد على القيام بالتحريات والإجراءات الجنائية.

■ ما هي اوجه المساعدة القانونية المتبادلة في إطار مكافحة الفساد والتي يقتضي ان تقدمها الدول الموقعة على الاتفاقية؟

يجوز لكل دولة موقعة على الاتفاقية «طلب المساعدة القانونية المتبادلة» في إحدى الحالات الآتية:

1- الحصول على أدلّة أو أقوال أفراد
2- تبليغ المستندات القضائية
3- تنفيذ عمليات التفتيش والحجز والتجميد
4- فحص الأشياء والمواقع
5- تقديم المعلومات والمواد والأدلة وتقييمات الخبراء
6- تقديم أصول المستندات والسجلات ذات الصلة، بما فيها السجلات الحكومية أو المصرفية أو المالية أو سجلات الشركات أو المنشآت التجارية، أو نسخ مصدقة منها
7- تحديد العائدات الإجرامية أو الممتلكات أو الأدوات أو الأشياء الأخرى أو اقتفاء أثرها لأغراض إثباتية
8- تيسير مثول الأشخاص طواعية في الدولة الطرف الطالبة
9- أيّ نوع آخر من المساعدة لا يتعارض مع القانون الداخلي للدولة الطرف متلقّية الطلب
10- استبانة عائدات الجريمة وتجميدها واقتفاء أثرها
11- استرداد الموجودات

■ ما هي المعطيات التي يقتضي ان يتضمنها طلب المساعدة القانونية؟

يقتضي أن يتضمن طلب المساعدة القانونية المتبادلة:

1. هوية السلطة مقدمة الطلب
2. موضوع التحقيق وطبيعته، أو الملاحقة أو الإجراء القضائي الذي يتعلق به الطلب، واسم ووظائف السلطة التي تتولى التحقيق أو الملاحقة أو الإجراء القضائي
3. ملخصاً للوقائع ذات الصلة بالموضوع، باستثناء ما يتعلق بالطلبات المقدمة لغرض تبليغ مستندات قضائية
4. وصفاً للمساعدة الملتمسة وتفاصيل أيّ إجراءات معيّنة تودّ الدولة الطرف الطالبة اتباعها
5. هوية أي شخص معني ومكانه وجنسيته
6. الغرض الذي تلتمس من أجله الأدلة أو المعلومات أو التدابير

ويجوز للدولة متلقّية الطلب أن تطلب معلومات إضافية عندما يتبيّن أنها ضرورية لتنفيذ الطلب.

> بإمكان الدولة رفض تقديم المساعدة القانونية إذا رأت ان تنفيذ الطلب قد يمس بسيادتها او امنها او نظامها العام او مصالحها الاساسية

■ هل يستمع القاضي الاجنبي مباشرة إلى الشاهد المطلوب الاستماع إليه؟

عندما يكون شخص ما موجوداً في إقليم دولة طرف ويراد سماع أقواله، كشاهد أو خبير، أمام السلطات القضائية لدولة الطرف الأخرى، يجوز للدولة أن تسمح، بناءً على طلب الدولة الأخرى، بعقد جلسة الاستماع عن طريق الائتمار بواسطة الفيديو، إذا لم يكن ممكناً مثول الشخص المعني شخصياً في إقليم الدولة الطرف الطالبة. ويجوز للدولتين الطرفين الاتفاق على أن تتولى إدارة جلسة الاستماع سلطة قضائية تابعة للدولة الطرف الطالبة وأن تحضرها سلطة قضائية تابعة للدولة الطرف متلقية الطلب.

■ هل يمكن رفض تقديم المساعدة القانونية؟

بإمكان الدولة رفض تقديم المساعدة القانونية المتبادلة في الحالات الآتية:

● إذا لم يقدم الطلب وفقاً للأصول المحددة في الاتفاقية

● إذا رأت الدولة أن تنفيذ الطلب قد يمسّ بسيادتها أو أمنها أو نظامها العام أو مصالحها الأساسية الأخرى

● إذا كان القانون الداخلي للدولة الطرف متلقّية الطلب يحظر على سلطاتها تنفيذ الإجراء المطلوب بشأن أي جرم مماثل، لو كان ذلك الجرم خاضعاً لتحقيق أو ملاحقة أو إجراءات قضائية في إطار ولايتها القضائية

● إذا كانت تلبية الطلب تتعارض مع النظام القانوني للدولة الطرف متلقّية الطلب في ما يتعلق بالمساعدة القانونية المتبادلة.

ويجوز للدولة الطرف متلقية الطلب أن ترجئ المساعدة القانونية المتبادلة بسبب تعارضها مع تحقيقات أو ملاحقات أو إجراءات قضائية جارية.

■ هل هناك اتفاقيات اخرى تلزم لبنان التعاون في إطار التحقيقات التي تجريها دول اجنبية؟

هناك العديد من الاتفاقات الدولية ذات البعد العالمي أو الإقليمي أو الاتفاقات الثنائية التي وقّعها لبنان، والتي تنصّ على وجوب تعاون الدول الأطراف لتحقيق أقصى تعاون قضائي. ومنها ما تنصّ عليه الاتفاقية الدولية لقمع تمويل الإرهاب التي انضم إليها لبنان بموجب القانون 2015/53، على الدول الأطراف أن تتبادل أكبر قدر من المساعدة القانونية في ما يتعلق بأي تحقيقات أو إجراءات جنائية أو إجراءات تسليم تتصل بالجرائم المبينة فيها. وكذلك بموجب الاتفاق العربي لمكافحة الإرهاب، علماً أنه بموجب قانون مكافحة تبييض الأموال وتمويل الإرهاب القانون رقم 44 تاريخ 2015/11/24 وقانون مكافحة تبييض الأموال والقانون رقم 318 تاريخ 2001/04/20، يحقّ لرئيس «هيئة التحقيق الخاصة»، أو لمن ينتدبه، أن يخابر مباشرةً السلطات اللبنانية أو الأجنبية كافة (القضائية والإدارية والمالية والأمنية) بغية طلب معلومات أو الاطلاع على تفاصيل التحقيقات التي أجرتها حول الأمور المرتبطة أو المتصلة بتحقيقات تجريها «الهيئة». وعلى السلطات اللبنانية المعنية أن تستجيب إلى طلب المعلومات فوراً دون الاعتداد تجاه «الهيئة» بأيّ موجب سرية، إلا أن اللبنانيين لم يلمسوا أيّ تحرك من هذه الهيئة.

الإجازة للحكومة الانضمام إلى اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد المعتمدة من قبل الجمعية العمومية بقرارها رقم 58/4 بتاريخ 2003/10/31:

نص الاتفاقية الدولية

33

يحتل الرقم 33 مكانة خاصة في سجل التشريع اللبناني على صعيد التعاون الدولي في المجال القضائي، إذ يحمل الرقم 33 قانون انضمام لبنان إلى الاتفاقية المتعلقة بأصول المحاكمات المدنية المعقودة في لاهاي بتاريخ 1954/3/1 والتي تتناول إبلاغ الوثائق القضائية وغير القضائية، والاستنابات القضائية في القضايا المدنية والتجارية وذلك بتاريخ 1973/12/26. كما يحمل الرقم نفسه 33 قانون انضمام لبنان إلى اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد بتاريخ 2008/10/16. كذلك يحمل الرقم 33 قانون إبرام لبنان معاهدة لتسليم المجرمين بين لبنان وبلجيكا بتاريخ 1964/11/17.

الرقم	التاريخ	الموضوع
33	1964/11/17	إبرام معاهدة لتسليم المجرمين بين لبنان وبلجيكا
	1973/12/26	انضمام لبنان إلى الاتفاقية المتعلقة بأصول المحاكمات المدنية المعقودة في لاهاي
	2008/10/16	انضمام لبنان إلى اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد

تحت القوس

أجانب في قصر العدل

عمر نشابة

قد لا تحتاج الدول الغربية إلى إرسال قضاة ومحققين إلى لبنان لفرض استعمار قضائي. إذ إن بعض اللبنانيين مستعدون للقيام بهذه المهمة. فبعض المسؤولين اللبنانيين يعملون لخدمة سفارات أجنبية تدفع لهم بالعملة الصعبة بينما تراجعت قيمة رواتبهم وارتفعت أسعار السلع وكلفة المعيشة. لكن من قال (سوى المعجبين بالرجل الأبيض بشكل أعمى) أن القاضي الأوروبي، هو الآخر، محصّن من تلقّي الرشوة؟ فالقضية التي أتى الأجانب للتحقيق في شأنها تتعلق بملايين الدولارات، والأشخاص المشتبه بهم قد لا يترددون في عرض مبالغ طائلة لحماية أنفسهم.

لا يمكن القول أن القاضي أو المحقق نزيه بمجرد تحديد جنسيته. ولا شك أن القضاة والمحققين الأجانب الذين يتولون ملفات خارج بلادهم لا يخضعون لرقابة صارمة، خصوصاً عندما تنتشر الفوضى ويتم تجاوز الأصول وتسلسل الإجراءات في تلك الدول. في قصر عدل بيروت، احتدم أخيراً الخلاف بين قضاة لبنانيين في شأن سبل التعاون مع القضاء الأجنبي، بينما الاتفاقيات الدولية التي تعهّد لبنان احترامها تُحدد تلك السبل بشكل دقيق ومفصّل. وبدا وكأن بعض القضاة يسعون لحماية مشتبه بهم من خلال عدم الاستجابة لطلبات المحققين الأجانب والتي أتت في إطار الاتفاقيات الدولية.

لا شك أن لنظام المحاصصة في التشكيلات القضائية أثراً على سلوك القضاة. ورغم تكرار النفي وتبرّؤ بعض القضاة من أي ولاء طائفي أو فئوي أو سياسي، تكثر المؤشرات التي تدل إلى عكس ذلك. حتى لو سلّمنا بأن هؤلاء القضاة لا ينصاعون لتوجيهات ورغبات السياسيين وزعماء الطوائف والمصرفيين، لكن يبدو أن دوافع تصرفات بعضهم تتعلق بتأمين مصالحهم الشخصية. ولا يمكن القول أن القاضي الذي يعمل لخدمة مصالحه الشخصية أقل سوءاً من القاضي الذي يعمل لخدمة سياسيين أو مصرفيين أو رجال دين. القاضي الفاسد قد يجمع الاثنين معاً فيخدم مصلحته من خلال تقديم الخدمات للآخرين. والقاضي الفاسد قد لا يكون طائفياً أو مؤيداً لطرف على حساب طرف آخر بل هو مستعد لخدمة أي طرف مقابل مكاسب شخصية.

لا فرق بين قاض أجنبي وقاض محلي إلا في:

● عمله القضائي لتحقيق العدالة لا لخدمة المصالح بما في ذلك مصلحة بلد أو فئة أو خدمة مصلحته الشخصية.

● كفاءته واختصاصه القضائي.

● مدى التزامه أصول الإجراءات وتسلسلها (Due process).

● جدية عمله.

● التصميم على التوصل إلى علاج فعال (effective remedy) للقضية القضائية.

> القاضي الفاسد قد لا يكون طائفياً او مؤيداً لطرف على حساب طرف آخر بل هو مستعد لخدمة اي طرف مقابل مكاسب شخصية

أذكر أنه لدى تأسيس المحكمة الخاصة بلبنان عام 2007 ووضع نظامها الأساسي، أثير موضوع جنسيات القضاة واتفق على ضرورة أن يكون عدد منهم من الجنسية اللبنانية. لكنهم حسموا بأن على رئيس المحكمة أن يكون أجنبياً وكأنهم أقروا باستحالة وجود قاض لبناني نزيه يتمتع بكفاءة عالية ويتميّز باستقلاليته، وفي ذلك مجافاة للحقيقة. أشرت يومها في «الأخبار»، في معرض قراءة نقدية لنظام المحكمة، أن هذا النقاش يغلب عليه الطابع السياسي ولا علاقة له بتحقيق العدالة، فليكن جميع القضاة أجانب طالما يحترم كل منهم الأصول ويتمتع بالكفاءة ويبتعد عن السياسة والسعي لتأمين مصالحه الشخصية أو الفئوية أو الوطنية.

وكما في العام 2007، نعتقد اليوم أن لا أهمية لجنسية القضاة والمحققين الذين يعملون في ملف الجرائم المالية والمصرفية أو في ملف انفجار المرفأ. بل يفترض أن يكون المرجع الأساسي لهؤلاء القضاة والمحققين هو الأخلاق والالتزام بالقانون والأصول والابتعاد كل البعد عن الانحياز والأحكام المسبقة والفساد والتوظيف العاطفي.

في العمق

هل اقدمت يوماً على رفع قيمة فاتورة بين يديك بهدف تحقيق نسبة من الارباح بعدما انجزت العمل المطلوب منك، سواء كنت تعمل سائقاً خاصاً يتولى تامين الحاجيات او تقوم بمهام إدارة المشتريات، أو ربما كنت في موقع إداري رفيع في إحدى مؤسسات القطاع الخاص او العام؟ هل اقدمت فعلاً على هذه الخطوة او فكرت بالقيام بها تحت وطاة ضغوطات اقتصادية ومالية، علماً انها تشكل ضرباً من ضروب الاحتيال وجريمة يعاقب عليها القانون؟

الفاتورة الملغومة «حربقة» في تجاوز القانون

فاطمة خشاب درويش

تشير المعطيات إلى أن «الفواتير الملغومة» ظاهرة منتشرة في لبنان، يتغنى بها البعض تحت شعار «الحربقة»، على رغم أنها تخفي في طياتها شكلاً من أشكال الاحتيال والكذب الذي قد يخجل صاحبه من الاعتراف به علانية.

تارة تكون هذه الفواتير الملغومة مصدراً للقلق خوفاً من الملاحقة القانونية، وتارةً أخرى تكون باب رزق لكثيرين ممّن اعتادوا «تزييط» أوضاعهم. وبين هذا وذاك، تتصدّر المشهد في لبنان فواتير من نوع آخر، هي تلك التي تكوي جيوب الناس عند صناديق السوبرماركات حيث تلتهب الأسعار، من دون حسيب أو رقيب، بسبب جشع بعض التجار وعدم التزامهم بتسعيرة صرف الدولار وعدم التزامهم بهامش الربح الذي نصّ عليه قانون حماية المستهلك.

وفي كل الحالات، تظهر «الفواتير الملغومة» في لبنان كوجه من أوجه الفساد والهدر والاحتيال على رغم وجود القوانين والملاحقات التي تصدر بحق كل من يقوم بالتلاعب بالفواتير مهما اختلفت دوافعه ومبرراته.

«يعني معقول اليوم باخد دليفري من منطقة لمنطقة بدي ساعة حتى أوصل، بدفع بنزين للموتوسيك، وآخر شي طالع معه المحل إنه الدليفري 20 ألف ليرة والدولار فوق الأربعين ألف! إيه بس أوصل عند الزبون، بعطيه الطلبية وفاتورة المحل وفاتورة من عندي مكتوب عليها 100 ألف ليرة خدمة التوصيل، شو بتعمل الـ 100 ألف أصلاً؟ حق سندويشة ما بتكفي»، يقول عامل الدليفري محمد (35 سنة) عن تجربته مع الفواتير الإضافية. وهو ما يعتبره حساماً «عادياً جداً. أنا بشتغل صرلي 25 سنة شوفير عند ناس، بعرف كل حاجاتهم، والناس بتكارمني، دايماً إلي أسعار خاصة بالمحلات، بيعرفوني موظف، بيحطولي سعر السوق، بستفيد شوي، عندي عيلة كيف بدي عيش بهيدا الوضع، آنجا معاشي يكفيني أكل، وين المشكلة؟».

تجربة يحيى تختلف قليلاً، فهو وسيط بين خاله والمستأجر، برأيه: «الحياة بدها شطارة. طلب مني خالي لاقي مستأجر آدمي لبيته، وصار هيدا الشي، كل شهر بس يدفع المستأجر الأجار بعطيه وصل بالمبلغ وبرجع بعطي وصل تاني لخالي وبحط بالجيبة 50 دولار. شو المشكلة، عم يوصل الأجار لخدمته بلا وجع راس».

يشارك بلال مع يحيى في الاستفادة، من خلال تسهيل الحصول على إفادات مدرسية لعدد من أولياء الأمور في المدرسة التي يعمل فيها كمحاسب، ويقول: «في كتير أهل صرلن كتير عنّا بالمدرسة بيطلبوا نزيد الأقساط على الإفادات يلي بدّن يقدموها للدولة أو للمؤسسات ليبشتغلوا فيها حتى يطلعلن كامل المبلغ وشوي زيادة. عادة في أهل بيشوفوا خاطري لمّا يقبضوا المدارس، الناس بتستفيد وبتفيد».

يبدو أن هذا السلوك لا يقتصر على اللبنانيين فحسب، بل أصبح متّبعاً من قبل العاملين الأجانب المقيمين فيه، إذ يرونه سلوكاً عادياً كما يقول عبد الرحمن، العامل في إحدى محطات الوقود في بيروت. فعندما يطلب أحدهم الفاتورة، يسارع سائلاً: «بقدّيه بدك الفاتورة؟»، وليس لديه أي مشكلة بوضع الرقم الذي يطلبه الزبون «تسهيلاً لأمور الناس».

احتيال وتزوير..

يؤكد المحامي سماح مهدي أن «تضمين الفاتورة مبالغ إضافية مخالفة للواقع، يُعد من قبيل المناورات الاحتيالية التي تستهدف الاستيلاء بصورة مخالفة للقانون على أموال الزبون، وبذلك تكون جريمة الاحتيال مكتملة الأركان، وتجب إدانة مرتكبيها عملاً بنص المادة 655 من قانون العقوبات اللبناني (كل من حمل الغير بالمناورات الاحتيالية على تسليمه مالاً منقولاً أو غير منقول أو أسناداً تتضمن تعهداً أو إبراء أو منفعة واستولى عليها، يعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات وبالغرامة من مئة ألف إلى مليون ليرة). ويعتبر مهدي أن «إصدار فاتورة مخالفة للواقع الصحيح من حالات التزوير المعنوي الذي يُعرف بأنه «تشويه مضمون المستند أي تشويه موضوعه وظروفه»، وهذا النوع من التزوير لا يُكتشف من خلال علامات أو آثار مادية ظاهرة، بل بما يتضمنه المستند من بيانات وتصريحات كاذبة، ويتحقق التزوير المعنوي بتغيير وجه الحقيقة، من دون أن يترك ذلك أثراً يدرك بالحس. وهو لا يقع إلا عند إنشاء المستند».

ويوضح مهدي مفهوم التزوير بحسب المادة 453 من قانون العقوبات اللبناني حيث إنه «تحريف متعمد للحقيقة، في الواقع أو البيانات التي يثبتها صك أو مخطوط يشكل مستنداً، بدافع إحداث ضرر مادي أو معنوي أو اجتماعي»، مشيراً إلى وجود ركن مادي وركن معنوي للتزوير. ويضيف: «الركن المادي هو تحريف الحقيقة في واقع أو بيانات يثبتها صك أو مخطوط. أما بالنسبة للركن المعنوي، فيفترض توافر القصد العام أي العلم بأن ما يقوم به الفاعل هو جريمة معاقب عليها بموجب القانون، واتجاه إرادته لارتكاب الفعل المذكور. بالإضافة إلى القصد العام، يجب توافر الدافع لدى الفاعل، أي أن يستهدف الفاعل إحداث ضرر مادي أو معنوي أو اجتماعي».

ويختم المحامي: «الضرر هو من العناصر الأساسية لاكتمال جريمة التزوير لا سيّما بالنسبة للمستندات الرسمية نظراً للثقة العامة المعلقة عليها، وتبقى هي الحال بالنسبة إلى المستندات العادية بحيث يكون الضرر للأفراد».

«حربقة»

ظاهرة الفواتير الملغومة «عمرها عشرات السنين في لبنان، وهي ظاهرة سيئة، وغير صحية في المجتمعات بمختلف المعايير الأخلاقية والاقتصادية. فاللبناني يشتغل بأسلوب الحربقة، ويعتبر الربح الذي يحققه من خلال زيادة الأرقام الوهمية على الفاتورة مكسباً وربحاً شرعياً له»، يقول الباحث الاقتصادي والمالي محمود جباعي، مشيراً إلى أن «عدداً من العاملين في القطاع العام يطلبون

(من الويب)

كيف بدنا نحاسب وما في قضاء؟

ينتقد رئيس بلدية الغبيري معن خليل الواقع الذي يحكم عمل البلديات في هذه الفترة، بخاصة مع اعتكاف القضاة، فلا قضاء ولا محاسبة، إذاً كيف يمكن للبلديات أن تقوم بدورها في حماية المواطنين من التلاعب بالفواتير والأسعار، والمحاضر التي تسطّر بحق المخالفين تحتاج سنة للبت فيها، فكيف الحال اليوم والبلد معطل.

ويضيف: «نعمل في البلديات على مراقبة التلاعب بالأسعار من خلال إقفال مؤقت، على أن تعمل خلال فترة الإقفال المؤسسات التجارية على تصحيح الأسعار. صحيح أن الأسعار تحتاج إلى وقت لتغييرها على المنتج، ولا تحتاج إلى أكثر من ساعة لتعديلها على الكمبيوتر، لكن المشكلة في وجود ذهنية استغلال المواطنين وتحقيق الأرباح من جيوبهم. للأسف حجم الغرامات أقل بكثير من أي تلاعب بالأسعار».

ويتابع: «تعمل البلديات على إحالة المحاضر إلى وزارة الاقتصاد، فهل تبتّ الوزارة في تلك الإحالات التي من المفترض أن تصل إلى القضاء. على مدى ست سنوات، لم نتبلغ بأي إجراء، كبلدية من قبل وزارة الاقتصاد، ولم تصلنا نتيجة أي محضر تم تسطيره سواء من قبل البلدية، أو من قبل الوزارة في النطاق البلدي لبلدية الغبيري. المطلوب أن تكون هناك شفافية من قِبل الوزارة من خلال إظهار عدد الإحالات إليها وما هو مصيرها في القضاء».

ويختم: «بالنسبة للمواطن، أصبح المحضر أقل طوشة، بيقلك إعمل محضر وأنا بتابعه بالقضاء، ببروح بيعالجه بالقضاء وبينعمل تخفيض عادة».

من إدارات المدارس تدوين أرقام أعلى للأقساط المدرسية على الفواتير بغية تحصيل أموال إضافية من الدولة». ويضيف: «سلوك اللبناني في ما خص الفواتير الملغومة هو نهج متّبع منذ سنوات من قبل المستثمرين والمتعهدين في مشاريع الإنماء والإعمار وحتى في موضوع تأهيل الطرقات، كانت تُضخّم الأرقام بطريقة مضاعفة. فإذا كانت الطريق تُكلف 20 مليون دولار، تدفع الدولة 100 مليون دولار بسبب الفواتير الملغومة من قِبل السماسرة». ويعتبر جباعي أن «هذه الفواتير تجسّد أحد مظاهر الفساد والهدر في الدولة على صعيد الأفراد والمؤسسات العامة، وهي أحد الأسباب التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه اليوم»، محذراً من «خطورة أن يشرّع كل مواطن لنفسه القيام بفواتير ملغومة تحت وطأة الأوضاع الاقتصادية الصعبة».

التلاعب بالأسعار

أدت التقلبات السريعة لسعر صرف الدولار إلى فوضى عارمة في تسعير السلع وتوحيد أسعارها في مختلف المحال التجارية. هذا الواقع المستجد أتاح الفرصة أمام من يرغب باستغلال الوضع وإصدار فواتير ملغومة من الصعب اكتشافها، أو الالتفاف إلى التلاعب فيها.

أدت التقلبات السريعة لسعر صرف الدولار إلى فوضى عارمة في تسعير السلع واتاح ذلك إصدار فواتير ملغومة من الصعب اكتشافها

«عندي خمسة أولاد، بروح تجيب أغراض من التعاونية حتى وفّر شوي، بيطلع الدولار بيطلع السعر معه، بينزل الدولار بتضل الأسعار عالية، والأنكى لما بيكون في سعر على العلبة، والأسعار على الفاتورة غير، وكأنن مش هني الأغراض يلي جبتن. جماعة نضابين»، تطلق أم أحمد صرخة يتشارك معها عدد كبير من اللبنانيين الذين يعانون من الظروف الاقتصادية الصعبة، ومن تلاعب عدد من التجار بأسعار السلع من دون حسيب أو رقيب بحجة التبدل السريع في سعر صرف الدولار.

يتحدث المدير العام لوزارة الاقتصاد محمد أبو حيدر عن «مساعي الوزارة المستمرة لضبط التلاعب بالأسعار من قبل المؤسسات التجارية والسوبرماركات»، مشيراً إلى أن «الوزارة تتدخل في ثلاث حالات، الأولى في حال عدم الإعلان عن الأسعار بالأصل وفقاً للمادة 5 من قانون حماية المستهلك. والثانية في حال تخطى الربح الهامش المسموح به بعد حساب كلفة السلعة وهامش الربح، والحالة الثالثة عندما يكون السعر على الرفوف مغايراً للسعر على الصندوق». ويشير أبو حيدر إلى وجود «22000 نقطة بيع في مختلف المناطق اللبنانية، فيما يبلغ عدد مراقبي الوزارة 50 مراقباً فقط»، مشدداً على «ضرورة أن تواكب السلطات المحلية، البلديات، عمل وزارة الاقتصاد وتقوم بواجباتها وتراقب أكثر نقاط البيع، استناداً إلى مهامها التي أنيطت بها سواء من خلال قانون البلديات أو من خلال قانون حماية المستهلك».

ويتابع: «تُسطّر وزارة الاقتصاد المحاضر وتحيلها إلى القضاء المختص، كما تواكب الوزارة القوى الأمنية سواء الأمن العام أو أمن الدولة خلال عملية مراقبة الأسعار، وتعمل القوى الأمنية على أخذ إشارة من القضاء المختص، في بعض الأحيان يعطي القضاء إشارة بالإقفال بحسب نوع المخالفة الموجودة».

الجريمة المعلوماتية

2023 أبرز المخاطر والهجمات السيبرانيّة

ياسر الموسوي

بحلول عام 2023، يستمرّ الأمن السيبراني متصدّراً قائمة أولويّات خبراء الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات، وتستمرّ جهود شركات الأمن السيبراني لمكافحة الجرائم المعلوماتية والهجمات السيبرانية، إلى جانب الجهود القانونيّة والتشريعات التي تحمي ضحايا هذه الجرائم. لا تزال المخاوف والمخاطر الإلكترونيّة تؤرق العديد من الدول وأجهزة الأمن، وبالطبع مستخدمي الإنترنت في العالم. في النصف الأول من عام 2022، وقع حوالي 2,8 مليار هجوم برمجيات خبيثة (Malware Attacks) في أنحاء العالم و236,1 مليون هجوم طلب فدية (Ransomware Attacks). بحلول عام 2023، من المتوقّع إطلاق ستة مليارات هجوم تصيّد احتيالي (Phishing Attacks).

أبرز الهجمات السيبرانيّة والتقنيات المستخدمة في الجرائم الإلكترونية ضدّ الأفراد والمؤسّسات:

تطوّرت أساليب مجرمي الإنترنت مع الوقت، وأصبحت نتائج الهجمات مخيفة للغاية ومكلفة على صعد عدة، حيث لا تستطيع برمجيات الحماية العاديّة والأساليب التقليديّة التصدّي لهذه الهجمات. لذلك، من البديهي أن تتطوّر معها أساليب الحماية ولا سيّما في وجه الجرائم والهجمات التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي والروبوتات.

● **هجمات تعتمد الذكاء الاصطناعي والتعلّم العميق** (AI Attacks and Deep Learning):

تشكّل الهجمات السيبرانيّة المدعومة من الذكاء الاصطناعي والتعلّم العميق جزءاً مهماً من مستقبل جرائم المعلوماتية، حيث ستدير الروبوتات أغلب هجمات البرمجيات الخبيثة على سبيل المثال في السنوات المقبلة. لذلك، وللحصول على الأمان في ظروف المخاطر السيبرانيّة، يحتاج مستخدمو الإنترنت، ولا سيّما المؤسّسات والشركات، إلى حلّ أمني قائم على الذكاء الاصطناعي يعتمد على التحليل والتجاوب السريع للتخفيف من التهديدات المحتملة، تشمل تطبيقات الذكاء الاصطناعي في الأمن السيبراني إدارة الثغرات الأمنية وأمن الشبكة وإدارة المعدات الفعّالة والمعلومات والبيانات الحسّاسة.

● **البرمجيّات الخبيثة** (Malware) **والهجمات المدعومة من الذكاء الاصطناعي:**

هي برمجيّات ضارة (Malicious Software) بما في ذلك الفيروسات والديدان الإلكترونيّة، يتمّ حقنها في الشبكات والأنظمة بقصد إحداث ضرر. يمكن لهذه البرمجيّات استخراج المعلومات السريّة وسرقتها وإيقاف الخدمة (Denial of Service) والوصول إلى الأنظمة. يستخدم خبراء تكنولوجيا المعلومات برامج مكافحة الفيروسات Antivirus والجدران النارية Firewalls لمراقبة هذه البرمجيّات واعتراضها قبل أن تتمكن من اختراق الشبكات والأنظمة. وفي المقابل، يواصل مجرمو الإنترنت تطوير برامجهم الضّارة لتفادي هذه الدفاعات أثناء هجماتهم. لذلك من المهمّ والضروري الحفاظ على التحديثات الحالية لبرامج الأمان وجدران الحماية وتطويرها لتتناسب مع حجم المخاطر.

● **هجمات طلب الفدية** (Ransomware Attacks):

البرامج المستخدمة في هجمات طلب الفدية هي نوع من البرمجيّات الضارّة، تهدف إلى منع الوصول إلى الأنظمة، وتهدّد بنشر معلومات الملكية. يطلب منفّذو هذه الهجمات عادةً من ضحاياهم (مؤسّسات وشركات وأفراد) دفع فدية نقدية لإلغاء تأمين الأنظمة أو إعادة المعلومات.

تتزايد وتيرة استخدام البرمجيات والأساليب الخفيّة من جانب المهاجمين بهدف سرقة البيانات خلسة. وبخلاف نموذج عمل هجمات الفدية التقليديّة التي تطالب بدفع مبلغ من المال، يتم في هذه الهجمات بيع المعلومات أو محافظ العملات المشفّرة (Crypto Wallets) المسروقة أو الاستفادة منها مباشرة، بينما تبقى الجهة الفاعلة خفية. وللتعامل مع هذه التطورات، سيكون على الشركات بذل مزيد من الجهد لتطوير الأدوات المناسبة للحماية ضد هجمات الاختلاس وبالأخص الخفية منها.

● **هجمات وحملات التصيّد الاحتيالي والذكاء الاصطناعي** (Phishing Campaigns):

يتلقّى الجميع تقريباً بريداً إلكترونياً مشبوهاً أو حتّى في الكثير من الأحيان، بريداً إلكترونياً يبدو حقيقياً ومن جهة موثوقة ولكنه ليس كذلك. يُعرف خداع البريد الإلكتروني هذا باسم التصيّد الاحتيالي.

تُعتبر رسائل البريد الإلكتروني المخادعة التقليدية أسهل نسبياً بالنسبة إلى المتلقّي كي يتعرّف إلى الاختلافات وتمييزها. أمّا مع رسائل التصيّد الاحتيالي المدعومة بالذكاء الاصطناعي، فلن يتمكن متلقّو الرسائل من القيام بذلك بسهولة لأن رسائل البريد الإلكتروني مصمّمة وفقاً لخصائص وظروف فردية محدّدة. يمكن للذكاء الاصطناعي أيضاً تبادل رسائل البريد الإلكتروني بطريقة طبيعية تحاكي أسلوب المرسل أو المرسل إليه لكسب الثقة والمصداقية، وقد يفتح الباب في النهاية للمهاجم لتنفيذ هجمات البريد الإلكتروني من نوع التفاعل والهجوم عبر الأنظمة باستخدام الفيروسات.

● **هجمات السحابة والأمن السحابي** (Cloud Security):

يستغلّ مجرمو الإنترنت حالياً وفي الكثير من الهجمات ثغرات في أمن السحابة لسرقة محتويات الأجهزة المستخدمة أو السيطرة عليها. يستخدم العديد من الأشخاص والشركات تقنية السحابة لتخزين المعلومات وإدارة الحسابات وغيرها من الوظائف. ولكن، عدم معرفة استخدام الخدمة بشكل آمن يعني أيضاً أن الأشخاص ليسوا محميين دائماً كما ينبغي، ويصبح من المهمّ بشكل متزايد معرفة كيفية تأمين المعلومات على السحابة.

الحوسبة السحابية (Cloud Computing) هي تقنية تقديم خدمات استضافة البيانات ولا سيّما الهائلة، بما في ذلك البرامج والأجهزة والحسابات وكلمات المرور وغيرها وتخزينها عبر الإنترنت. وبما أنّه تصعب حماية هذا الكمّ من البيانات عادةً، لا بدّ من تأمين السحابة بالاعتماد على التقنيات والسياسات والضوابط والخدمات التي تحمي البيانات والتطبيقات والبنية التحتية السحابية من التهديدات، ومنها ضبط سياسات الخصوصيّة (Privacy Settings) والتأكّد من عدم مشاركة المعلومات الخاصّة مع التطبيقات أو أطراف أخرى. استخدام كلمات مرور متعدّدة وصعبة الاكتشاف (Strong Passwords). استخدام خاصيّة التحقّق مرّتين (Two-Factor Authentication) من أجل التأكّد من هويّة المستخدم، عدم تخزين معلومات مهمّة وحسّاسة يخشى سرقتها، استخدام برمجيات متطوّرة مضادّة للفيروسات والبرمجيات الخبيثة، تحديث نظام التشغيل (OS) بشكل مستمرّ، تجنّب استخدام الإنترنت العام (Public WIFI) نظراً إلى ضعف حماية هذه الشبكات أو استخدام برامج الشبكة الخاصّة (VPN) أثناء تشبيك الجهاز على إنترنت عام.

متابعة

قصص عن الاختفاء والإخفاء والخطف والهروب

خرج ولم يعد عام 2022

تزايدت اعداد «المفقودين» خلال العام 2022، بشكل ملحوظ. فلا يكاد يمر اسبوع من دون ان تعلن القوى الامنية، عبر حساباتها، عن اسماء وصور لمفقودين، مطالبة من لديه معلومات بالإدلاء بها. ظاهرة الاختفاء هذه التي طاولت مختلف الاعمار: اطفالاً وقاصرين، وشباناً وكباراً في السّن، اثارت مخاوف وقلق كثيرين، خصوصاً الاهالي، وطرحت علامات استفهام عدة حول اسباب هذه الظاهرة، وشرّعت الابواب امام مختلف الاحتمالات، في بلد تتزاحم فيه الازمات السياسية والاقتصادية والامنيّة. فهل جميع هذه الحالات تعود لـ«اسباب عائلية» كما اعلن مسؤول امني؟ وما هو مصير المفقودين بعد مرور مدة من الزمن؟

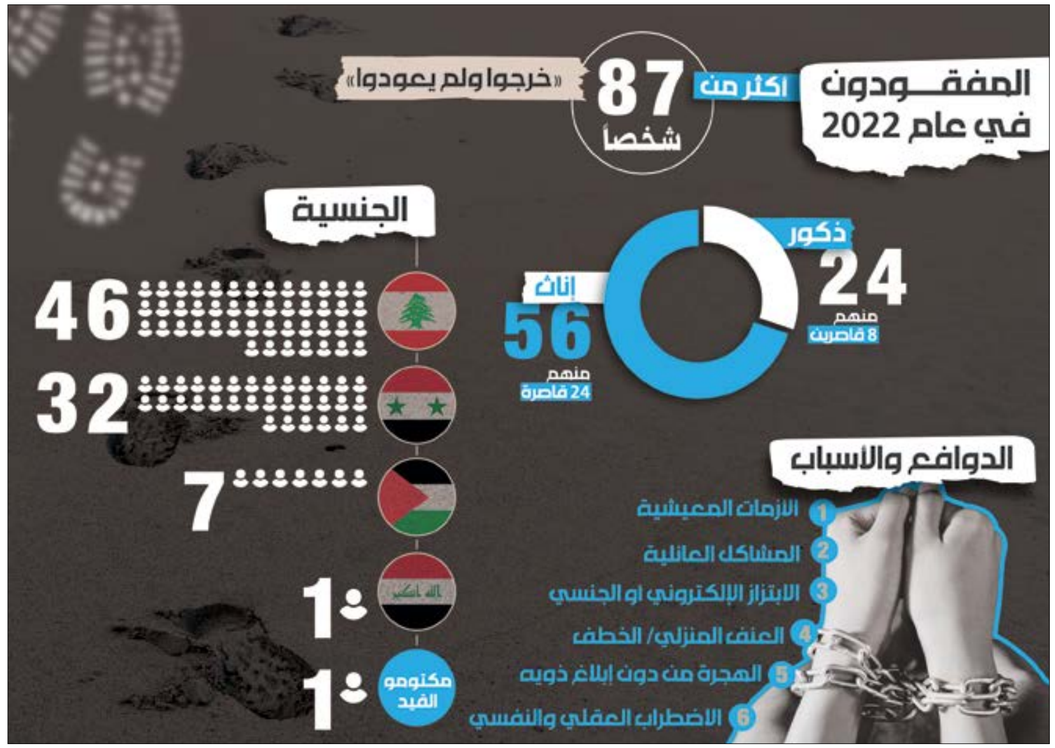

سمر فرحات

«أحمد ناصر محمد ديب الحلو» (مواليد عام 2007، لبناني) آخر المفقودين عام 2022. «غادر بتاريخ 2022/12/25، منزل ذويه الكائن في محلة عرمون ولم يعد حتى تاريخه»، بحسب ما أعلنت القوى الأمنية عبر حساباتها، وطلبت من المواطنين الذين شاهدوه أو لديهم معلومات عنه أو عن مكان وجوده، الاتصال بفصيلة عرمون على الرقم 05/818503. أحمد واحد من بين عشرات القاصرين الذين لم يبلغوا سن الرشد القانونية، غادروا منازلهم وانقطعت أخبارهم لفترات طويلة قبل أن يتم العثور عليهم، إما من خلال الأهل أو بواسطة القوى الأمنية. ومهما اختلفت الدوافع والأسباب بين شخص وآخر، يبقى الغموض سيّد الموقف.

عام الخطف بامتياز

عادت أحداث الخطف المتنقلة على طرقات لبنان لتشكل جزءاً من المشهد العام المأزوم. وإذا ما تتبّعنا تزايد جرائم الخطف مقابل فدية مالية لهذا العام، يمكن اعتباره «عام الخطف بامتياز». فقد زادت الأعداد بشكل مطرد، إذ بلغت بحسب «الدولية للمعلومات» 50 جريمة خطف بعد أن كان العدد 12، أي بارتفاع 38 جريمة خطف بنسبة 316,7%.

أحدث قضايا الخطف التي أثارت غضباً عارماً في الشارع اللبناني، كانت قضية اختطاف غالب عروب (15 سنة) وشقيقه مهند عروب (13 سنة)، اللذين وقعا ضحية عملية اختطاف من قبل مجهولين يستقلون سيارة رباعية الدفع. الشقيقان السوريان كانا ينتقلان من منزلهما في بعلبك إلى مكان عمل والدهما، عندما اقتيدا إلى جهة مجهولة. طالب الخاطفون في اتصال مع والدهما بفدية مالية تحت طائلة بيع أعضاء ولديه. وفي تحليل بسيط لهذا المشهد وعناصره بدءاً من اختطاف طفلين، إلى تنفيذ الخاطفين عمليتهم في وضح النهار، وصولاً إلى اختيار أبناء الطبقة الميسورة، يشير إلى أن المجرمين باتوا يسعون للحصول على المال بأي طريقة.

> **عصابات الخطف تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي لاستدراج ضحاياها ومنها تطبيق «تيك توك»**

جاءت هذه الحادثة لتدق ناقوس الخطر، وتعيد ترتيب حياة اللبنانيين بما يتلاءم مع الوضع الحالي. فامتنع العديد من الأهالي عن السماح لأطفالهم بمغادرة منازلهم بمفردهم. وقامت بعض البلديات بتشكيل لجان لحماية ومراقبة مداخل القرى.

وكانت القوى الأمنية قد حذّرت في وقت سابق من عمليات خطف خارج الحدود اللبنانية. وأوضحت أن «عصابات الخطف تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي لاستدراج ضحاياها، ومنها تطبيق «تيك توك»، وذلك عن طريق الإعلانات التي ينشرها أفرادها على التطبيق المذكور، موهمين ضحاياهم أنهم يملكون مكتباً للمساعدة على الهجرة إلى دول أوروبية».

نساء وفتيات في مهب الريح

بعد مرور ثمان وأربعين ساعة على اختفائهن، يتردّد ذوو النساء في الإبلاغ عنهن خوفاً من «القيل والقال». فتعميم صورة «مفقودة» يفتح الباب أمام سجالات وإشاعات تبدأ من لحظة اختفاء إحداهن، ولا تنتهي بعد عودتهن.

لا شكّ أن الفئة الأكثر عرضة للاختفاء هي فئة القاصرات، واللواتي زاد عددهن في الآونة الأخيرة، ليبلغ 24 مفقودة عام 2022. ولكن ما الذي يدفع بعض النساء، والقاصرات خصوصاً، إلى مغادرة منازلهن؟

تكثر الأسباب والدوافع، وتأتي المشاكل العائلية والعنف الأسري في مقدمتها، وقد أضيفت إليها في الآونة الأخيرة عمليات الابتزاز الجنسي الإلكتروني التي وقعت ضحيتها العديد من الفتيات، مما اضطرهن للهروب من عائلاتهن خوفاً من الفضيحة.

في المقابل، فإن بعض الفتيات غادرن منازلهن «بإرادتهن». علا (18 سنة) واحدة من كثيرات كان خيار «الخطيفة» الأخير لديها، بعدما عارض أقاربها زواجها من ديانة مختلفة، فلجأت إلى الهرب بدافع الحب، في بلد تغيب فيه قوانين الزواج المدني، ويغيب معه احترام إرادة هؤلاء الأشخاص.

أما القاصر ريما (17 سنة)، فلم تتوقع أن تُقدم والدتها على إبلاغ القوى الأمنية، بخبر اختفائها، رغم علمها بقرارها مغادرة المنزل، بعدما رفضت والدتها زواجها. ما دفع بالفتاة إلى العودة وتبيان حقيقة ما جرى تفادياً لاتهام شريكها بالخطف.

ومهما كانت الأسباب أو الدوافع، فإن هذه الفئة تتطلب رعاية خاصة من قبل الأهل، ومن بعض الجمعيات، لتأمين بيئة سليمة وآمنة لهن خوفاً من ابتزازهن واستغلالهن جنسياً من قبل بعض العصابات. كما تتطلب تكثيف التوعية حول جرائم الابتزاز الإلكتروني التي أدت إلى انتحار العديد من الفتيات.

وكان قد شهد العام 2022 حالات اختفاء لعديد من القاصرات لأسباب مجهولة. نذكر منها:

بتاريخ 2022/11/26 غادرت القاصرتان علا أحمد السقر (مواليد عام 2005، سورية)، وحلا أحمد السقر (مواليد عام 2012، سورية) منزل ذويهما الكائن في محلة برج حمود. وطالبت القوى الأمنية من الذين شاهدوهما أو لديهم أي معلومة عنهما، الاتصال بفصيلة برج حمود على الرقم 01/244431.

وبتاريخ 2022/12/19 اختفت آية رسمي عثمان (مواليد عام 2009، لبنانية) أثناء تجولها مع والدتها في مدينة الهرمل/ محلة الدورة. وطالبت القوى الأمنية من الذين شاهدوها ولديهم أي معلومات عنها أو عن مكانها، الاتصال بمخفر الهرمل على الرقم 08/200133. من جهة أخرى، سُجل اختفاء نساء متزوجات برفقة أولادهن، منهن السورية دينا (مواليد 1993) التي اختفت مع طفليها روجينا (مواليد 2012) ومحمد (مواليد 2013). وطالبت القوى الأمنية من الذين شاهدوهم أو لديهم معلومات عنهم الاتصال بفصيلة المنية على الرقم 06/462094.

وعلى رغم تأكيد مصدر من قوى الأمن أن «غالبية حالات الفقدان تعود لأسباب شخصية وليست أمنية ومنها خلافات عائلية»، إلا أن الغموض الذي رافق اختفاء النساء والفتيات أثار الهلع في قلوب الأهالي، وخاصة بعد الجريمة الوحشية في بلدة أنصار، والتي راحت ضحيتها أم وبناتها الثلاث. وكن قد اختفين في الثاني من آذار من دون أن يعرف لهن أثر وانقطعت أخبارهن، إلى أن تم العثور عليهن مقتولات ومدفونات داخل مغارة في بلدتهن أنصار بعد أسبوعين.

«الغايب عذره معه»

بعد كل حادثة اختفاء أو هرب نسمع عبارة «مريض نفسي»، وكأنها باتت كلمة مرادفة للمفقود. وإذا بحثنا قليلاً، فإن ذوي المفقودين هم أول من يُطلقها، وكأنها عذر لا يقبل الشك، أو حماية لهم من تداعيات هذا الاختفاء.

وسجّل هذا العام لائحة طويلة من المفقودين الذين يعانون أمراضاً نفسية، نذكر منهم:

في 2022/11/29، غادر منصور أنطوان صيقلي (مواليد عام 1966، لبناني) منزله الكائن في محلّة الأشرفية.

وبتاريخ 2022/3/31 خرجت ديبة حسن جندي (مواليد عام 1980، لبنانية) من منزل خالتها في بلدة النميرية – النبطية.

إلى جانب بعض الحالات النفسية، سُجّل فقدان بعض الأشخاص ممّن يعانون من مرض «الزهايمر» من بينهم:

منعم نجيب الحسنية (مواليد عام 1960، لبناني) حيث غادر بتاريخ 2022/12/23، ولم يعد بعد حتى تاريخه.

من المهم في هذه الحالات، التعاون من قبل الأهل، كذلك العناية بالمرضى وحمايتهم من مخاطر الضياع أو تعرضهم للأذى. وهذا ما عملت عليه العديد من الجمعيات، إذ ساهمت في حماية بعض الأشخاص ممّن يعانون من أمراض عقلية وعصبية وإيوائهم في بيئة تؤمّن لهم كل ما يحتاجونه من تقديمات اجتماعية وصحية.

اختفاء ثلاثة أطفال

عمّمت القوى الأمنية صوراً لثلاثة أطفال قصّر، وأعلنت عن فقدانهم بعد مغادرتهم منزل والدهم الكائن في مدينة الشويفات لمدة شهرين. لتعود وتعلن في بيان لاحق عن العثور على الأطفال بعد اتصال والدتهم بفصيلة الشويفات بتاريخ 2023/1/7 وإفادتها أن الأولاد الثلاثة موجودون معها في ألمانيا. هذا الأمر، طرح علامات استفهام عدة حول غياب التنسيق بين القوى الأمنية من جهة، والأمن العام من جهة ثانية. فتساءل المتابعون: «كيف لم تتأكد القوى الأمنية من مغادرة الأطفال الأراضي اللبنانية بعد فقدانهم لمدة شهرين»؟ فيما رجّح آخرون أن تكون الأم قد هرّبت الأطفال بسبب مشاكل الحضانة مع الأب. هذه الفوضى، التي سترتّب على القوى الأمنية متابعة أدق لبعض حالات الاختفاء، ستبقى من جهة ثانية، الباب مفتوحاً أمام التأويلات والتكهّنات حول أي قصة هروب أو اختفاء أو إخفاء أو خطف.

في الواجهة

مساعدون قضائيون محكومون بالصمت

فداء عبد الفتاح

في آخر المراسيم التي وقّعها رئيس الجمهورية، رفع بدل النقل للعاملين في القطاع العام إلى 95000 ل.ل. عن كل يوم عمل فعلي، إضافة إلى مساعدة اجتماعية، ليست من أساس الراتب، حدّها الأدنى خمسة ملايين ليرة لبنانية وتصل إلى 12 مليون ليرة بحسب قيمة الأجر.

وبحساب سريع لبدل التنقل اليومي لأحد الموظفين العاملين في قصر عدل بيروت، سألنا توفيق الذي يسكن بالقرب من صيدا ويغادر منزله في الخامسة فجراً مستقلاً سيارة أجرة إلى ساحة النجمة في صيدا (موقف الباصات) بتكلفة 60000 ل.ل. لينطلق بعدها بـ«الفان» إلى منطقة الكولا في بيروت بتكلفة 40000 ل.ل.، ومنها إلى قصر عدل بيروت بتكلفة 25000 ل.ل. بدل الـ«سرفيس». وبهذا يكون مجموع كلفة بدل النقل ذهاباً وإياباً عن كل يوم عمل فعلي 250 ألف ليرة لبنانية، أي بمعدل ثلاثة ملايين ليرة لبنانية في الشهر لثلاثة أيام عمل في الأسبوع.

تقول سهى، وهي موظفة في إحدى أقلام محكمة الجزاء، إن «طبيعة عملي ترتب عليّ الحضور بشكل يومي، إضافة إلى أنني أحاول التخفيف عن زملائي والمناوبة بدلاً عنهم لأن سكنهم أبعد، ومن الصعب حضورهم بشكل يومي». وتضيف: «أنا صامدة لأن زوجي صاحب مهنة حرة ويغطّي معظم النفقات الأساسية في البيت، فراتبي ملك لصاحب اشتراك الكهرباء، ومشكلتنا ليست في قيمة بدل النقل فقط!».

ويجب رائد بصراحة حول عدم مشاركته في الإضراب الذي أعلنه الموظفون سابقاً: «أنا أعطّي من البرّاني ما خسرته من قيمة راتبي لأتمكن من الاستمرار في تأمين متطلبات أسرتي، ولهذا السبب لم أشارك في أي إضراب ولن أشارك».

هذا «البرّاني» الذي أصبح أمراً طبيعياً -بموجب العُرف- لكنه جرم جزائي يعاقب عليه القانون (تصل عقوبة قبول الرشوة في قانون العقوبات من المادة 351 إلى المادة 356، إلى ثلاث سنوات حبس)، ساهم في رفع قيمة التقاضي أضعافاً مضاعفة، حيث وصلت في بعض الدوائر الرسمية إلى مبالغ خيالية، وبات الحصول على إفادة عقارية أمراً صعب المنال لدى الكثيرين. مشقّة الوصول إلى مكان العمل في الطرف الراهن هو مسار غالبية الموظفين القاطنين خارج دائرة عملهم، المجبرين بحسب نظام الموظفين، على الالتزام بدوام العمل الرسمي وفقاً للمرسوم الاشتراعي رقم 112 تاريخ 12\6\1959.

وذلك بالحضور اليومي إلى مراكز عملهم، من مساعدين قضائيين ومباشرين وكتبة وحجّاب وعاملي نظافة إن وجدوا. الأمر الذي لا ينطبق على القضاة لجهة الدوام اليومي في مراكز العمل، على الرغم من أنهم يخضعون لقانون الموظفين وقواعده كافة، باستثناء ما جاء في نص خاص من أحكام قانون تنظيم القضاء العدلي. (المادة 44 من المرسوم الاشتراعي رقم 150 تاريخ 16\9\1983)

ولدى سؤالنا موظفين آخرين عن سبب عدم التزامهم بالإضراب أو بـ«الاعتكاف» -كما سمّاه القضاة- لتحقيق المطالب، كان الجواب أنّه من الصعب جداً الالتزام بالإضراب بشكل كامل لأسباب كثيرة، وللسياسة حصة الأسد فيها. كما أنّ بعضاً من الموظفين يتقاضى إكراميات تفوق راتبه شهرياً في بعض الأحيان، فيؤمّن بذلك احتياجاته التي لم يعد يغطيها الراتب، فكيف سيشارك في الإضراب؟

ثقافة الفساد ضريبة مباشرة

ثقافة الفساد التي باتت ظاهرة (شبه طبيعية) في نظامنا ونهجاً كرّسته ذهنية «الرشوة المقنّعة» بتسميات مخفّفة كالإكرامية، إضافة إلى أزمة اقتصادية غير مسبوقة غيّرت آلية احتساب تكاليف الدعاوى والمعاملات العقارية على اختلافها. إذ لم تعد تقتصر على الرسوم وأتعاب المحاماة، بل باتت تتخطاها لتأمين نفقات قد لا يصدقها البعض، مثل تكلفة تأمين الطوابع في السوق السوداء، (طابع الألف ليرة غير موجود وبات إلزامياً شراء طابع من فئة 5000 لإلصاقه على أي مستند) وهذه زيادة غير مباشرة وغير قانونية للضرائب غير المباشرة. وكذلك حال طوابع القضاة (التي تعود لدعم صندوق تعاضد القضاة) المختفية، من فئة الألف ليرة وحتى الخمسين ألف ليرة، والتي أقرّت أخيراً في قانون الموازنة العامة للعام 2022 في المادة 99، وطباعة طوابع من فئة المئة ألف ليرة فقط خلافاً للقانون، لإجبار جميع المتقاضين على شرائها بسبب اختفاء الفئات الأخرى، وذلك لإتمام معاملاتهم تحت طائلة ردّها شكلاً.

> **مجموع تكلفة بدل النقل ذهاباً وإياباً عن كل يوم عمل فعلي 250 الف ل.ل. اي بمعدل ثلاثة ملايين ليرة في الشهر لثلاثة ايام عمل في الاسبوع**

تعتمد السلطة القضائية إذاً نهج السلطة السياسية، بفرض ضرائب غير مباشرة لتغذية صندوق تعاضد القضاة على حساب الشعب اللبناني الذي تحكم باسمه، بشكل غير قانوني (راجع القوس، «زيادة الرسوم القضائيّة من دون قانون»، عدد 17 كانون الأول 2022)

بالإضافة إلى طباعة الورق والتصوير وتكلفة التبليغات، التي لها حسابات خاصة ولم تعد تسمّى «مصاريف جانبية» لأنها باتت مصاريف أساسية ويحسب لها ألف حساب.

تخصيص باصات للموظفين؟

هذا الواقع الصعب للعاملين ضمن قصور العدل والذي ينعكس بشكل مباشر على المتقاضين، لن يسهّل عودة السلطة القضائية إلى العمل. كما أن تغذية صندوق تعاضد القضاة برفع قيمة الرسوم والطوابع، لا علاقة للمساعدين القضائيين به ولا لغيرهم من موظفي قصور العدل. إضافة إلى أن لا أموال في الصندوق الخاص بالموظفين لتحسين أوضاعهم أسوة بالقضاة. (نظام الصندوق التعاوني للمساعدين القضائيين، مرسوم رقم 2151 تاريخ 21\1\1992)

مما لا يبشّر بعودة سريعة لانتظام عمل السلطة القضائية، بل بانتكاسة أكبر. إذ يأخذ القضاة مستحقاتهم ويعتكف الموظفون عن العمل لأنهم غير قادرين على الوصول بالحد الأدنى إلى أماكن عملهم، فهل من حلول أو مبادرات تخفّف من حدة هذا الواقع المأزوم؟ أليس بإمكان حكومة تصريف الأعمال التي استلمت باصات نقل عام من فرنسا، وأخرى مرتقبة من قطر، أن تفرز عدداً منها لنقل موظفي القطاع العام إلى مراكز عملهم لتخفيف عبء من الأعباء المرمية على صبر الموظفين لتسيير المرفق العام؟

(هيثم الموسوي)

القوس
■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**
alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com